

الحرب الإسبانية

أحمد فزاد الأهواني

سبتمبر ١٩٣٨

• مطبعة دار النشر - مصر

الحرب الإسبانية

أحمد فؤاد الأهواني

مطبعة دار النشر — بمصر

كلمة

في شهر يولية من عام ١٩٣٥ بارحت مصر إلى الاندلس ، في صحبة
طلبة معهد الآثار الاسلامية ، وقد تفضل بمرافقتنا في ذلك الحين
الاستاذ عبد الحميد الهادي ، استاذ التاريخ الاسلامي بالجامعة المصرية .
ولم أكن في ذلك الوقت طالباً في معهد الآثار ؛ ولكنني كنت أنفذ
البحث عن مخطوطات إسلامية في مكتبة الاسكوريال إحدى ضواحي
مدريد ، أو في مكتبة مدريد الأهلية . وليس من الغريب أن تحتوى
مكتبات الاندلس على تراث العرب الاسلامي فقد كانت حضارتهم زاهرة
زاهية ، بل كانت تلك الحضارة في القرون الوسطى هي المنهل العذب الذي
ارتشف منه الغرب وبنوا على أساس ما أخذوه منها حضارتهم الحديثة .
كان يطوف في ذهني السفر إلى تلك البلاد ، ثم وصل إلى سمعي نبأ رحلة
الجامعة ، فاقترعت هذه الفرصة المانحة السعيدة ، واشتركت مع
القاصدين .

وأقلعت بنا الباخرة من مفر بورسعيد تمخر عباب البحر الابيض

المتوسط متجهة شطر جبل طارق ، مفتاح أسبانيا من الجنوب
والشوق يحدو إخواني إلى معرفة الآثار العربية الاسلامية في الاندلس
وفي تقصى أمل العثور على ما أنشد من مخطوطات فلسفية إسلامية
وهي تختص إذا شئت التحديد بآين رشد فيلسوف الاندلس العظيم .
وزلنا في جبل طارق ؛ ومنها إلى إشبيلية ، ثم إلى قرطبة فغرناطة
وانتهينا إلى مدريد . فتسنى لنا بذلك أن نطوف بأهم مدن ذلك القطر ،
وأن نذره من الجنوب إلى الشمال .

والغريب نظرة فاحصة ، وروح باحثة منقبة ؛ إذا أضفت إليها
معرفة تاريخ البلاد ، فإن السامع يخرج بثروة من المشاهدات لها قيمتها
ولها أثرها . .

وبارحت الاندلس ، وأنا أحمل في قلبي أجمل الذكريات ، وأعمق
الآثار ، لجمال طبيعتها ، وحنن مناظرها ، وطيب هوائها وحسن
معاشر أهلها . وقد نزلت في دول أجنبية كثيرة كفرنسا وألمانيا
وأيطاليا ، ومكنت فيها حيناً ، فلم يطب لي المقام كما طاب في الاندلس ،
تلك البلاد التي تشع فيها أنها حبيبة إلى نفسك قريبة إلى حاك حبيبتك
في نظرك .

فلما نفبت الحرب الاهلية تحمل معها الحراب والدمار ، وهدم

الدور والقصور والآثار ، وقتل النساء والرجال والأطفال ، وقعت
هذه الحرب في نفسى موقعاً سيئاً ، لأن الأهل الذين تفتك بهم قفائف
الطائرات ، وقنابل المدافع ، إنعام أهلى وإخوانى أكلت طعامهم ،
وشربت ماءهم ، وتحدثت وإياهم ، وقضيت معهم أسعد الأوقات : فكل
كارثة تحل بهم محز في نفسى وتولنى أبلغ الألم .

بل الاندلس ليست غريبة عن العرب والاسلام ، ففى فجر الحضارة
الاسلامية دخلها طارق بن زياد غازياً ، وازدهرت فى قرطبة و غرناطة
حضارات كان لها أثرها فى الشرق والغرب ، وقامت خلافة أموية فى
الاندلس عظيمة الشأن تنافس الخلافة العباسية فى بغداد ، وإذا كانت
الحضارة نقاس بمقياس العلم والأدب فإن الاندلس العربية تعد فى
طليلة الحضارات ، وعنها تسربت العلوم المختلفة إلى جامعات أوروبا .
وطرد العرب فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ومهل الأسبانيون
جهدهم أن يزيلوا كل أثر من آثارهم . ففرضوا عليهم الديانة المسيحية
واللغة الاسبانية ، ولكن الروح العربية لاتزال ترفرف فى أنحاء البلاد
الاسبانية ، هذه الروح التى اختلطت بالدماء ، وفزلت منزلة الطبائع ،
وأماننا اللغة الاسبانية نفسها نصفها عربى والنصف الآخر تحول أعجمياً

يحكم الاضطراب، وأسماء الناس أغلبها إذا حورتها قليلا تجدد أنها تعود
عربية . وأكثر عاداتهم كالكرم والمحافظة على العفة والنظافة هي مادات
عربية . وإذا فرضنا أنك استطعت تغيير كل هذا ، فانك لن تستطيع
أن تبدل الوجوه غير الوجوه فالمرأة الاسبانية بشعرها الاسود القام
وعيونها التي في طرفها حور ، هي امرأة عربية قبل كل شيء .

وإذا قلنا إن الصلة التي كانت تصل تاريخنا بتاريخهم ، وديننا
بدينهم ، ولغتنا بلغتهم قد انقطعت منذ بضعة قرون ، فقد أصبحت
هذه الصلة في القرن العشرين مما لا يستطيع أحد أن يضرب عنه صفحا .
اسبانيا مفتاح البحر الأبيض المتوسط من الغرب إذا اعتبرت أن
قنال المويص مفتاحه من الشرق ، وبينها وبين مصر علاقات اقتصادية
لا نستطيع أن نخفلها ، ولنا قنصلية ومفوضية في مدريد ، ولاسبانيا
مفوضية وقنصلية في مصر ، ويستقبل الأزهر كل عام كثيراً من
المراكشيين الخاضعين لحكومة أسبانيا يتلقون علوم الفقه والدين ،
وتعمل أسبانيا على نشر الحضارة الاسلامية القديمة بتدريس اللغة
العربية والقيام بطبع كثير من المخطوطات العربية . والحقيقة أن كثيراً
من المستشرقين يعملون على إحياء اللغة العربية وعلومها في جامعات
اسبانيا ، وأذكر أنني حين زرت مدريد عام ١٩٣٥ قابلت هناك طالما

يسمى الأب موراتا ، كان يعمل في نفس المخطوط الذي أجهتغل فيه
وهو كتاب النفس لابن رشد ، ومن للطريف أننا حين اجتمعنا كان
لا يعرف من اللغات إلا الأسبانية وأنا اجهلها فكانت وسيلة التخاطب
بيننا هي اللغة العربية ، فانظر إلى أى حد بلغ شأن اللغة العربية بيننا
وبينهم . ثم أن الحكومة الاسبانية طلبت إلى الحكومة المصرية في عام
١٩٣٤ أن تلتدب أحد المصريين ليقوم بتدريس اللغة العربية في جامعة
غرناطة ، ولا أعلم ماذا تم في أمر هذا الطلب ، وهل سافر ذلك المصري
المنتدب بالفعل أم لا .

وقد أصبحت الحرب على الأبواب ، لا ينقصها إلا التهيؤ الكامل
والاستعداد التام عند بعض الدول وعلى الأخص إنجلترا ، التي تنتظر
حتى يستتم لها تنفيذ برنامج التسليح وتصبح على أهبة الحرب .
والحديث الدائر الآن على الأفواه أن الحرب الأهلية الأسبانية هي
الشرارة التي سينفجر منها بركان الحرب العالمية . وفي كل يوم نقرأ في
الصحف أنباء انتصار جيوش الجنرال فرانكو ، أو ثبات الحكومة
أو انهزامها إلى غير ذلك ، ولكن أحداً لم يتعرض للإلمام بالحرب
كاملة ، وعلى الأخص لبيان أسبابها ، بينما الأدب الاوربي يزخر
بمشرات الكتب التي ألفت في هذا الموضوع . لهذا كتبت هذا

الكتاب المتواضع ، وهو الاول من نوعه في مصر ، ليلقى الضوء على
الحروب المحتعة في الجانب الآخر من البحر الابيض المتوسط . ولعل
هذا الكتاب يكون فاتحة لغيرى من المؤلفين الذين قد يختلفون معى
فيجلون جوانب لم أطرقتها ، ووجهات من النظر لم أفطن إليها .

مصارعة الثيران

الشعب الوحيد في العالم أجمع ، اللعب الذي كان يقيم لمصارعة الثيران ملاعب تزدحم ازدحام الموالد والأعياد حتى لا تجد موضعاً لتقديم ، الشعب الذي يتلهى بالتفرّج على الملاعب وهو في خطر الموت مع أخطر الثيران وأشدّها عوداً ، ولا يجد في هذا الضرب من الوحشية أيّ حرج ، هو الشعب الأسباني

تربي الثيران الخاصة بالمصارعة تربية خاصة ، فيقدم لها أنسب الطعام وأدسمه ، وتندرب على القتال حتى تتوحش وتضري .

وتعتبر هذه المصارعة من أنواع الرياضة العالية . وتحتاج الى كثير من خفة الحركة ورباطة الجأش وسرعة الخاطر . واذا كنا نعتبر هذه المصارعة نوعاً من الوحشية ، فهي في نظرهم ضرباً من ضروب الرياضة . ومن العسير إبداء حكم صحيح هل هذه اللعبة وحشية أم إنسانية ؟ فالمسائل الانسانية اعتبارية محضة . ومن الناس من يعتبر ذبح الدواجن والاغنام لأكل لحومها توحشاً فيعيشون على النباتات ، وهم فريق كبير .

أما نحن على العموم ، فلأننا لم نألف تعذيب الحيوان فأننا ننظر إلى هذه المصارعة كأنها غمزة من غمزات الوحشية .

حضرت أحد هذه الحفلات في ٢٧ يولية سنة ١٩٣٥ . وقد تأثرت أول الأمر ولم أستطع إخفاء إنفعالي حين أرى الثور يطعن وهو يتألم ولكنني لم ألبث أن نظرت الى المسألة من ناحية أخرى . لماذا يجهد هذا الجمع الحاشد كثيراً من اللذة والاستحسان ؟ لا بد في الأمر شيء خفي لا نراه نحن ، ولذلك تجردت من عواطفى لحظة ونظرت الى المصارعة كفن من الفنون ورياضة من الرياضات .

ووصف المصارعة بسيط ، فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام : القمم الأول دخول الثور هائجاً ثائراً ، فيلتقاء ثلاثة من المصارعين يحملون في أيديهم قماشاً أحمر داكناً ، ذلك لأن اللون الأحمر يجذب نظر الثور ويهيجه . فيهجم عليهم ، وكلما أمعن وراء أحدهم اجتذبه الآخر اليه . وكلما سدد الثور هجمته على الرجل ناحية القماش الأحمر ، سحب الرجل القماش وتغصه بخفة شديدة بحيث يضرب الثور قروته في الهواء . وتستمر هذه الحركات مدة خمس دقائق تعزف الموسيقى بعدها لحناً . ثم يأتي الدور الثاني ، وهنا يتقدم مصارطان ، يطعنان الثور بحراب يبلغ طول الحربة نصف متر ، السلاح فيها يشبه السنارة ، والباقي قطعة

من الخشب كسيف بورق ملون ليميزها المتفرجون . ويقف المصارع أمام الثور فيهجم هذا عليه ، فأذا ما أوشك أن يضربه بقرنيه ، رشق المصارع الحربتين بخمفة في ظهره وانحجب عنه ، فيثور الثور من جديد. وترشق فيه ست حراب بهذا الشكل . وتستغرق هذه الألعاب خمس دقائق تعزف الموسيقى بعدها ثم يبدأ الدور الثالث وهو القضاء الأخير على الثور . فيتقدم المصارع وسط الميدان ويرمي بقبعته إلى الأرض بعد أن يعرضها على المتفرجين ، ويعتبر هذا تحدياً منه للثور ، فإذا قضى عليه رجع بنفسه وأخذ قبعته عن الأرض ، فإذا ناله الثور ذهب وبقيت القبة . فالقبة هي الحد الفاصل بين الموت والحياة .

والطعن في هذه المرة يكون بالسيف . والضربة الأولى تكون في الظهر فينفذ السيف إلى آخره . ويجرى الثور من الألم ويظل يحرك عضلاته حتى يخرج السيف ، فإذا بدأ للثور أن يخور ، يهيجونه باللون الأحمر ، ثم يقف المصارع أمامه ، ويطعنه طعنة خاصة في وسط الرأس فينفذ السيف إلى المخ ويحمر الثور صريعاً . وهنا يصفق القوم وتعزف الموسيقى ، ثم تدخل خيول ثلاثة تجر الثور . ومنظر هذه الحيل

يذكر الانسان بايام الرومان حينما كانت عجلة الحرب تدخل روما وهي
تجر وراءها السبايا على الأرض .

هذه هي الرياضة المحبوبة عند الأسبانيين ، فيها سفك الدماء ،
والكر والفر ، والهزيمة والانتصار ، والتفنن في تعذيب النفس ولو أن
هذه النفس هي الحيوان ، وفيها استهتار بالحياة وما بالاك بشخص ينازل وحشاً
وجها لوجه لو ناله لقضى عليه . وكثيراً ما سقط في ميدان هذه المصارعة
شبان في زهرة الشباب ، وهم لذلك يجمعون إلى جانب كل ملعب كنيسة
ومقبرة اما المقبرة فتزوى المصارعين أما الكنيسة فللصلاة عليهم .

ولعلك تسأل ما شأن الحرب الأسبانية بمصارعة الثيران ؟
انها صورة من الحياة الاجتماعية التي تمود الناس في تلك الجهات
وهي تغلك على مقدار استهتار القوم بالحياة ؛ وعلى ولوعهم بالمباراة
والتنافس ، وعلى رخص الحياة عندهم حتى ليضحوا بأنفسهم ضحية
لقرون الثيران ، التي يفتنون في تعذيبها .

ولعل هذه الحرب التي أكلت الأخضر واليابس ، هي دعاء هذه
الثيران المتوجعة الشاكية من ظلم لأنسان .

١٨ يولية سنة ١٩٣٦

هذا هو التاريخ الذى يبدءون به الحرب الأهلية فى أسبانيا ، كما
اصطلحوا على يوم ١٤ يولية بداية للثورة الفرنسية .

والحقيقة أنه من الصعب تحديد ساعة معينة لبداية ثورة أو حرب
فلهما مقدمات طويلة . والشعب فى حالة الثورة ، أو الدولة فى مواجهة
الحرب ، كلاهما يكون كالرجل الذى ينحس فى الماء ولا يزال يغلى
حتى ينفجر

وسنعود الى تفصيل هذه الأسباب العميقة للحرب الأهلية
الأسبانية بعد قليل ولكننا الآن سنذكر الحرارة الأولى التى انبعثت
منها هذه الحرب

فى ١٣ يولية قتل العمال فى مدريد أحد زعماء أحزاب اليمين،
المعادين للجمهورية ، وهو المسمى كالفوسوتيلو . وأثار هذا المقتل
روح السخط بين المتحزبين على الحكومة ، وابتدأت للقجوة بين
الفريقين أن تتسع .

وزاد هذه الفجوة اتساعاً بعض حوادث كان من الممكن التجاوز
عنها لولا روح التذمر والتوتر التي كانت سائدة . من ذلك
أن أحد الضباط في حفلة من حفلات العرض العسكري اعتقد أنه سمع
ملاحظات نابية من الجيش ، فلم يطق ذلك ، واعتدى على اثنين من العمال
بالضرب ولما دار التحقيق مع الضابط صدرت الاوامر بملازمة الشكنات
وحينئذ تضامن الضباط جميعا مع زميلهم ، ولازموا الشكنات ، التي
أصبحت كخليات النحل ، وكثر الهمس ، وأصبحت مركز المؤامرات ،
وركن التذمر .

وفي ١٧ يولييه ، في صباح ذاك اليوم ، ذاعت أبناء ثورة جيش
مرا كش على الحكومة ، ولم تغب شمس ذلك اليوم حتى اندلعت نار
الثورة في أسبانيا نفسها في اليوم التالي .
وكانت الثورة مدبرة ، والحكومة عنها نائمة :

وتقدم الجيش ، ومعه آلات القتال والقوة ، فدخل المدن ورحب
أهلها به ، لأن النفوس كانت في حال ثورة رتقب هذا الانقلاب
وأذاعت أسلاك الراديو من مدريد بلاغا للناس أن يطمئنوا
ويعتصموا بالهدوء ، حتى تحمد الحكومة هذه الثورة ، ولكن هل
يفيد الكلام البليغ أمام قصف المدافع

واستيقظ الناس في المدن وقد أدهشهم رنات الموسيقى الحربية
ووقم أقدام الجنود . ولم يستطع القوم أن يفسروا في وسط هذه
الدهقة السر في هذه الاحداث المفاجئة .

ولم تلبث الاخبار أن ذاعت على الأفواه تعلن أن ثورة حربية
مسلحة اجتاحت أسبانيا كلها ، وستحل الحكومة الوطنية في مدريد
محل الحكومة الجمهورية ، حكومة وطنية على رأسها الجنرال
«سانجوربو» .

ولم تكن تسمع بين الحين والآخر إلا هتافات «ليحيا الجيش» .
وانتشرت الاعلام في الشوارع ، وسارت فيالق من السوارى والجنود
المسلحين بين تهليل الشعب وصياحه

ودقت نواقيس الكنائس تعلن انتصار الثورة الجديدة
واصبح الحكم لحكومة الثوار العسكرية في البلاد التي استولوا
عليها في الجنوب .

وكانت الواقعة بين رجال الجيش والقاشيست ورجال الثورة ،
وبين العمال والفلاحين كبيرة إلى حد لا يمكن صلاحه .
وكما بدأت الثورة بالاعتداء على كالفو ساتيلو القاشيستي في مدريد ،

كذلك أخذ للثوار في الانتقام من العمال في المناطق التي سيطروا عليها
بما سموه عملية « التطهير الوطني »

وخرج أحد العمال من منزله في « بور جوس » صباح يوم ، ولقى
في الشارع فرقة من الجيش استوقفته وصاحت به

« أيها الاشتراكي الوغد ، قل لتحيا اسبانيا ؛ ليحيا الجيش »

فأجاب العامل لتحيا الجمهورية

وتجاوبت أصدااء القضاء دوى رصاصات تفجرت إلى قلب العامل

فوقع جثة هامدة .

حضر النيابة للتحقيق ؛ وفشت اللجنة فلم يعثر فيها على شيء ؛ ولم
يتقدم أحد لتحقيق شخصية القتيل ، أو لم يجرؤ أحد على ذلك . وأمر
القاضي بتصوير اللجنة بضعة صور فوتوغرافية عرضت في القسم لعل
أحدلاً يتقدم بما يثبت معرفته بالقتيل . وشرع رجال البوليس في البحث
عن أسباب الجريمة .

وفي اليوم التالي أمر الحاكم العسكري برفع هذه الصور المعروضة
ثم أفهم القاضي أنه يجدد به في المستقبل ألا يعلن أهمية كبيرة على مثل
هذه الحوادث .

وبدا من ذلك الوقت التطهير الاجتماعى .

وكانوا يأخذون الناس بالشبهات ، والعقاب الوحيد هو الرمى
بالرصاص ، وكرر فى كل يوم العنود على الجثث المجهولة ، يعرفها أصحابها
ولكنهم لا يجرأون على إبلاغ الجهات المختصة خوف القصاص غير العادل .
ولم ينس الجلادون وهم ينفذون أحكام الثورة ، أن يتفقدوا
أحكام المهووة . فى صباح ٢٤ نوفمبر عثر البوليس على جثتين ، الأولى
لمعامل فى شركة كبيرة ، وهو أحد أعضاء الحزب الاشتراكى ، والثانية
لابنته . ولم يكن هناك سبيل لانكار معرفة أصحاب الجثتين ، فكلاهما
من أشهر الناس فى بوردجوس ، على الاخص الفتاة ، حيث كانت أجمل
فتاة فى المدينة . وقد فحق بها الثوار قبل أن يمثلوا بها وقبل أن ينفذوا
حكم الاعدام . وغضب حاكم المدينة لهذا الحادث ؛ ولكنه فى سبيل
قتصار الثورة أمر بإسدال الستار عليه

حكومة الثوار في بورتوجوس

اشتعلت نيران الثورة في كثير من المدن ، واشتد العداء بين الجيش والحكومة الجمهورية في مدريد ، وانتشرت أعمال التطهير التي ذكرنا طرفا منها في الفصل السابق ، وهو التطهير المقصود منه القضاء على جميع الذين ينتمون إلى الحكومة الشرعية ، ويظهرون الميل إلى المبادئ الاشتراكية ، ويعطفون على حركة العمال والفلاحين . ثم تساءل الناس من هم القائمون بأمر هذه الحركة ، ومن هم المحركون لها ؟

كانت الآمال التي تحتضنها صدور رجال الثورة ، على الأخص لاعتمادهم على رجال الجيش ، أن يقلبوا الحكومة الجمهورية ، ويدخلوا مدريد دخول المنتصرين الظافرين ، وهكذا لا تمضي إلا أيام حتى تحمل حكومة مكان حكومة ، وتذهب ريح الجمهورية وسلطة العمال والفلاحين ، وتعود الملكية ، أو يظل الحكم جمهوريا ، ولكن

الطبقة الاستقراطية ، وأصحاب الاراضى ورءوس الاموال ، ورجال الجيش ، يعود الى هؤلاء جميعاً النفود الذى كانوا يتمتعون به قروناً طويلة من الزمان ، فينعمون بالسلطان ولبهة الحكم .

ولكن الرياح لم تبحر كما تشتهى السفن ، وتبددت أوهام الثوار أمام دفاع مدريد وقشتالة : ووقوف أهل كثير من المقاطعات فى وجه الثوار ، لان فى دعوتهم عودة الرجعية والاستبداد .

وأصبح الموقف يتلخص فى كلمتين ، حكومة شرعية فى مدريد ، وثورة على هذه الحكومة صدت الحكومة نيرانها الى حد ما واسرع الثوار الى تنظيم صفوفهم ، ورسم الخطط الجديدة التى تلائم الموقف الجديد .

ونعود فنقول من هم قادة هذه الحركة ، لان قوادحهم الرؤوس المحركة لها .

كان على رأس هذه الثورة الجنرال سانجوريو ولكنه فى الوقت الذى ركب الطائرة من برشلونه ليذهب على عجل ليشرف على أمور الثورة احترقت الطائرة وتوفى .

وحل محله الجنرال مولا فى الشمال ، والجنرال جيوادى لانوفى

الجنوب .

أما الجنرال فوانكو ، فلم يكن أحد يسمع بذكره ، بل لم يكن أحد يعرف أين مقره ؛ ومع ذلك كانت الاحاديث كلها تدور حول اسمه ، مشيدة بذكره . وكان الناس ينتظرون وصوله بفارغ الصبر بين حين وآخر على رأس الجند المراكشيين ؛ ولكنه لم يصل .

واجتمع انقواد والضباط ؛ وأجمعوا على ضرورة وضع خطة الاستقرار التي تضمن العمل المنتج الموحد وافقت كلمتهم على أن تكون لورجوس مقر حكومة الثوار . والغرض من ذلك أن تكتسب الثورة مظهراً شرعياً في نظر الدول ؛ اذ لهم حكومة في عاصمة ، تحفظ الامن وتقوم بما تقوم به الحكومات . ودخل الجنرال مولا يحف به الضباط والجند في موكب كبير في مدينة بوجوس دخوله الفاتحين ، واستقبله الاهالى بالهتاف والتهليل « ليحيا الجنرال مولا »

وألقى الجنرال خطاباً حماسياً على الجمهور جاء فيه « بعد أيام معدودة ، ستخمد حركة هؤلاء الخوارج في مدريد وبرشلونة وغيرها وسأهتف بعد ايام بل بعد ساعات من شرفة وزارة الداخلية في مدريد بتحيا أسبانيا »

في هذه الكليات القليلة تتضح أطباع مولا ؛ ولم تكن هذه
الاطباع محدودة ، بل كانت تسمو الى الرياسة المطلقة . ومولا هو
الذي اختار مدينة برجوس عاصمة لحكومة الثوار ، ولم يجرؤ أحد
على منازعته أو منازلته وفي يده القوة والنفوذ . واكبر منافسى مولا
هما الجنرال فرانكو ، والجنرال جيبو دي لانو .

ولكن الحظ يلعب دوره في حياة الافراد والشعوب : هذا الحظ
الذي قضى على « سانجوريو » في الطائرة ، فأحل مولا مكانه ، قضى
كذلك على مولا هو وأركان حربه ومساعديه وهم في طائرة ، وفي
الوقت الذي كان يقوم فيه بحصار بلباو . وحينئذ خلا الجو لفرانكو :
ولا يزال الجنرال جيبو دي لانو على قيد الحياة . وهو من الرجال
الخطيرين ويعمل حساباً لكل شيء . حتى ان موت زملائه على النحو الذي
فكرنا جعله يتحفظ من ركوب الطائرات .

على أن رئيس الحركة الآن ، الذي يتردد اسمه في كل مكان ، واليه
تنسب الحركة وتوصف ، هو الجنرال فرانكو . فن هو ؟ ..
ليس في صفات فرانكو الخلقية والنفسية والجسمية ما يوحي
اليك انك امام شخصية عظيمة ترغمك على الاذعان لها . إنه يفقد

الشخصية البارزة والصفات الضرورية اللازمة لمن يريد أن يلعب دور
الدكتور .

قامته قصيرة وملاحظه عادية فاذا كان في حضرة شخصيات أخرى
فانك لن تلقى اليه بالا ، لولا أنهم يقدمونه عليهم بحكم منصبه
الرسمى .

هذا النقص الطبيعى فى شخصيته من الناحية النفسية جعله يحاول
أن يعوضه بوسائل أخرى من الدعاية والاعلان . وطبعت صورة
الجنرال فرانكو فى ملابسه الرسمية ووزعت فى جميع الجهات التى
فرضت عليها الثورة . ووقع إحدى هذه الصور فى يد شخص من
الموالين لحركة فرانكو فقال « هذا الرجل يأتى من أعمال الدعاية اكثر
مما تفعل جاريثا جاربو » .

واليك أمثلة من هذه الدعاية . فقد ارغموا اصحاب الحوانيت
أن يعلقوا فى شرفات محالهم صورة فرانكو . ومن طرق الاعلان أن
دور السينما والتمثيل توقف عرض افلامها أو روايتها فى ساعة معينة
لتظهر صورة الجنرال فرانكو . وانظر الى الاثر السىء العكسى الذى

لنقله هذه الطريقة من الاعلان لان أشد انصار الجنرال حرارة وجبا
ليتألم لوقوف مشهد الرواية الذي يتبعه بشغف ليقطع عليه سلسلة
أفكاره ومشاهداته صورة الجنرال فرانكو.

فقد رأيت أن فرانكو بمواهبه الطبيعية لا يبعث في النفوس
هبة أو القلوب تأثيراً . وزادته دعايته الرخيصة مجاً . فاذا أضفنا الى
ذلك قوة تأثير الجنرال مولا في بروجوس ومحبه في الشعب ، وذويع
ذكر الجنرال جيبو في اشبيليه وفي جهات أخرى اتضح لنا أن فرانكو
في اسبانيا لا يستند في زمامته ورئاسته وقوته الى محبة الاسبانيين
اذن فأين ينال فرانكو التأيد . ومن اين له القوة والسلطان .

والجواب على ذلك يسير . إن نفوذ فرانكو الموهوم نجمه في
المانيا وايطاليا وقوته التي يعتمد عليها تستند الى الحراب الايطالية
والطيارات الالمانية . ثم الى سواعد الجنود المراكشين من أهل الريف
الذين غرهم اسمه الداوى الذي قلمته الداية . فأقبلوا عليه يتلمسون في
واعوده المعسولة مخرجا الحالة بلادهم ولكن هؤلاء الجنود البواسل لم يلبثوا
حين وطئت اقدامهم أرض اسبانيا أن تحققوا ضالكاً بشأن ذلك الذي وضعوا
فيه نفقتهم . وها هم الان يندمون على المساعدات التي قدموها لحكومة

الثوار ، ويكُون للرجال البواسل الذين خروا صرعى الغايات في
أرض اسبانيا

وقد كان فرانكو يحلم أن يكون نابليوناً جديداً يتربع عرش
القلوب والامم ، ولكنه بعد ما منى بالهزيمة ، ووقف عند حده
أصبح يعيش والندم يأكله والضمير يؤنبه . ولا يسبر الآن إلا محوطا
بجند من المراكشين يحمون قماره لانه لا يثق في الاسبانيين .

عود الى الوراء

الحكومة الجمهورية

سيجد كتاب القصص والروايات في حوادث اسبانيا الاخيرة مادة غزيرة للكتابة .

وعلى رأس هذه الشخصيات التى سيتناولها الكتاب بالاطراء والمدح ، هذه الشخصيه النبيلة السامية ، التى ضحت بكل شئ في سبيل حقن الدماء ومصلحة الوطن ، ذلك هو الملك ألفونسو .

وأعلنت الجمهورية عام ١٩٣١ منها ، لا لأن أغلبية الشعب تحب الجمهورية ، ولا لأن نظامها أصح من نظام الملكية ؛ ولم يكن لملك في تسيير شئون البلاد رأى قاطع وفيها برلمان ودستور .

ولكن مشيرى الملك أساءوا الشورى . إنه الكونت دومانس ساعد الملك الايمن للذى أشار بمقد انتخابات عامة ، بل بانتخابات بلدية

حيث سلطان العمال وأحزاب الشمال تملك النفوذ الأكبر ؛ ثم لجأ
الجمهوريون إلى أساليب العنف والدعاية والتأثير ، فسارت جموعهم
وأعلامهم في الشوارع ، وأعلنت في برثلونه الجمهورية ، وأصبحت
الحالة في مدريد لا تطاق . وإلى جانب هذا النشاط من خاصة
الجمهوريين ؛ نجد جن رجال الحكومة ، وخيانة البعض الآخر
وانقسام الجيش على نفسه إزاء كل هذا الاضطراب ضحى الملك
الفونسو بعرشه في سبيل الاحتفاظ بسلامة الوطن .

وهكذا تم أكبر انقلاب حديث في التاريخ دون أن تراق نقطة من
الدماء .

ولا يخلو هذا الانقلاب من معاني .

فقد كانت اسبانيا في حاجة إلى إصلاح ، يخرجها من ظلام القرون
الماضية إلى حضارة القرن العشرين .

كانت الحياة في اسبانيا أقرب إلى العصر الاقطاعي منها إلى أي
شيء آخر

الفلاح الاسباني يعيش في حالة تدل على البؤس الشديد . في قرية بالقرب في اشبيلية قابل أحدهم فلاحاً قال له « لقد ذمحت اليوم قطتي وأكلتها . وهذه هي المرة الاولى التي أذوق فيها اللحم منذ ستة أشهر » ولم يكن غذاء الفلاح سوى فنجان من التهووة يتناولها من غير سكر ثم الخبز الاسود وبعض البقول الناشفة كالنول والعدس . مساكينهم أقرب الى الكهوف . ملابسهم أسال : فهم الى المعيشة الحيوانية المنحطة أقرب منها الى المعيشة الانسانية .

وحين أخذت الجمهورية الحكم كان عليها أن تغير هذه الحال . وكيف السبيل الى ذلك وثلاثة أرباع البلاد تعيش على الزراعة ثم أن واحداً في المائة من السكان يملكون نصف الاراضى . بينما أربعون في المائة لا يملكون شيئاً .

لقد كان الفرق كبيراً بين طبقة الملاك وطبقة الفلاحين . اولئك يعيشون في نعيم مقيم . وهؤلاء في بؤس شديد .

وانتظر القوم أن تحل الجمهورية المشكلة الزراعية فحليها يتوقف تقدم اسبانيا .

انقلاب عام ١٩٣١ ، الذى ذهب بالنظام الملكى وأعلن الجمهورية دليل على حاجة البلاد إلى التغيير . وقد رأيت أن روح الانقلاب لم تكن موجهة الى الملكية فى ذاتها . وفى العالم دول ملكية وعلى رأسها إنجلترا حالتها من أحسن الاحوال . وقد رأيت أيضا أن حالة الفلاحين ، وهم الاغلبية من السكان كانت من السوء والفقر والعمرى بحيث أحسو احساساً عميقاً بضرورة تحسين عيشهم الاجتماعية على أى وجه . وليس سوء حال الفلاحين الا مظهر من مظاهر الفساد . فهناك نواح أخرى من التعفن الاجتماعى أعمق جذوراً وأبعد أثراً فقد كانت اسبانيا الى القرن الماضى من دول الطبقة الاولى فى العالم : لها مستعمرات فى أمريكا الجنوبية والوسطى تدر عليها الذهب مجازاً وحقيقية ، وكلمتها مسموعة فى أوروبا ، وعلى كثير من القوة الحرية .

ثم دار الزمن دورته ؛ وفقدت هذه المستعمرات ، أخذت بعضها الولايات المتحدة ؛ واستقل البعض الآخر ؛ وانهمزت اسبانيا هزيمة تعتبر فضيحة كبرى اذا ذكرت الهزائم ؛ ويكفيك أن تعرف أن سفنها الحرية التى نازلت بها الولايات المتحدة كانت من الخشب فى وقت

كانت السفن جميعا من الحديد والقولاذ

فهذه الهزيمة دليل على وقوف اسبانيا ، وتقدم الدول

فاذا اتجهنا بنظرنا الى حالة البلاد الداخلية نجد انها كانت في مثل

ذلك الوقوف والركود ؛ بينما الدولة غنية بمواردها الاقتصادية بأرض

فسحة ومناجم عديدة ، وشواطئ ممتدة ، لم يستغل أحد كل هذا

الاستغلال الواجب مما ساءت معه أحوال الشعب فأصبحوا يعيشون

معيشة أقرب الى الحيوان منها الى الانسان

من المسؤول عن كل ذلك ؟ ليس الشعب مسؤولا ، لانه بعيد محكوم

بل هو الذى يطلب الاصلاح ؛ أما المسؤول فهم هؤلاء الحكام من

الطراز العتيق الذين لا يصلحون لشيء الا فى بذر المال ، واثارة

الدسائس ، واحاطة انفسهم بالمظاهر الكاذبة ، لا لا نههم أجدر الناس

بالحكم ، بل لا نههم ولدوا وهم يحملون طابع الارستقراطية ومراكز

الحكم بالميراث

المسئول هم الملاك أصحاب الاراضى بل المقاطعات ، لا يفكرون لحظة

فى الفلاحين الذين يشتغلون عندهم ، الا كما يفكر صاحب الكلب فى كلبه

لئن شاء اطعمه وان شاء حرمه إنهم لا يعيشون الا فى مدريد أو باريس أو برلين

أولندن ، ينفقون المال في شتى الملامى ، على الغانيات والحمان وعلى
موائد الميسر . دلى كل شخص ماعدا أولئك الذين يشقون طول
العام فى الارض

هذه الطبقة هى أحد عناصر الرجعية التى اشتركت مع فرانكو فى
الثورة على الجمهورية

كان من السهل أن يقنع الفلاحون بحالتهم فقد استمروا على هذا
الذل آلافاً من السنين . ولكن الامور تغيرت بالنسبة للعمال .
فبعد ان قامت الصناعات واجتمع من العمال ألوف فى مكان واحد
وبعد أن اتسعت المدن التى تضم عدداً كبيراً من الناس فى صعيد
واحد ، اصبح من العسير اقناع هذه الجماعات . من السهل أن تقنع
فرداً أو تحكم بضعة من الافراد . من السهل أن تستعبدهم وتسترقهم
ولكن من العسير جداً أن تملى ارادتك على الجماعات الكبيرة .
فهى بحكم تكوينها تشيم فيها الافكار ، وتسرى المبادئ الجديدة
بين أفرادها ، وتصبح الجماعة كتلة واحدة ترتبط بروابط العواطف
المشتركة والافكار الواحدة

وقد نشأت الثورة على الأنظمة القديمة ، والمطالبة بالإصلاح ،
بين جماعات العمال قبل أن تنشأ بين الفلاحين . ووصل العمال إلى تحمين
حالمهم إلى حد كبير .

ومن أنوان هذا الإصلاح ، رفع مستوى الاجور ووضع حداً دنى
لها ، وتحديد ساعات العمل ، وبيان أيام الراحة الاسبوعية ، وطريقة
فض الخلاف بين أصحاب العمل والعمال .

وقد تبهت لمركز العمال حين كنت في مدريد عام ١٩٣٥ . قال صاحب
البنسيون الذى كنت فازلاً فيه ، أتدرى كم تتناول هذه الخادمة من
أجر ؟ قلت كلا . قال ستة جنيهات فى الشهر . ثم أضاف قائلاً ليت المسألة
مسألة هذا الأجر المرتفع ، ولكننى لا أستطيع أن أطرده هذه الخادمة
لقد تبهت تحنيه ، بل يعرض الأمر على مندوب مصلحة العمل ليفصل بيننا
ثم إن مندوباً لنقابة العمال يمر كل أسبوع ومعه دفتر كبير وللعامل أو
العاملة أن يثبت له شكايته مما يتذمر منه .

لما حدث الانقلاب الجمهورى عام ١٩٣١ ، حل الدهر بكثير من
أصحاب الاطيان وأصحاب ورؤس الاموال ، فتركوا البلاد ، وفروا
بأموالهم إلى أوروبا .

والمال هو الروح المحركة لكل شيء ، هو العصب من الحياة .
وفي الدولة كثيرون من أنصار الحكومة القديمة : وسيأتي ذكرهم
بالتفصيل فيما بعد .

والفلاحون والعمال ؛ اعتقدوا أن الحكومة الجديدة ستصلح
أحوالهم ، وتدر عليهم السمن والعلف .
هذه كلها أشواك دامية لمن يكن من السهل على الجمهوريه التغلب
عليها . فليس في استطاعة حكومة مهما أوتيت من قوة أن تنقل البلاد
من الفوضى إلى النظام ، ومن الفقر الشامل إلى الثروة الموزعة بين يوم وليلة .
وفضيلة الصبر قل أن تمجدها لدى أغلب الناس . وكثرت مطالب العمال
، والفلاحين لدى الحكومة بسرعة تحقيق آمالهم ، ولم تستطع الحكومة
أن تمجيهم إلى ذلك في الحال .

وهكذا شاع التذمر في أنحاء البلاد ؛ سواء من المعادين للجمهوريه ،
وهؤلاء بطبيعة عدائهم متذمرون ، أو من الموالين لها وذلك لبطء
الحكومة في تنفيذ الاصلاح المنشود .

ذهب صحافي في طام ١٩٣٤ في جنوب أسبانيا ، وسأل جمعا من
الفلاحين ماذا أفادتكم الجمهوريه ؛ فأجاب أحدهم أنهم لم يستفيدوا
شيئا ؛ ثم صاحت امرأة « لتحقق الجمهوريه »

والجمهورية مسكينة ، إذ لم تكن لها الاغلبية المطلقة التي تكفل لها حسن السير بالامور ، ونظرة إلى نغبة أعضاء مجلس النواب من مختلف الاحزاب ، تبين أن أحزاب اليمين كانت على كثير من السلطان والنفوذ. أما الأصوات التي أعطيت للجبهة الشعبية، وهم الذين يوالون الحكومة فقد بلغت ١٥٦ و ٢٠٦ و ٤ بينما كان مجموع أصوات احزاب اليمين ٦٠١ و ٢٨٣ و ٣. وفي المجلس بلغ الاعضاء المعضدون للجبهة الشعبية ٢٥٨ عضواً وأولئك الذين ينتمون الى اليمين ١٥٢ ، إلى جانب ٦٢ عضواً للوسط . فهذه النسبة تبين لنا أن أعداء الحكومة كانوا قوة لا يستهان بها الى جانب قوة الحكومة ، بحيث تعطل أعمالها وتشل حركتها

ولم يطق الفلاحون صبرا أكثر مما صبروا ، لذلك عزموا على أن يتخطوا الحكومة ، وينفذوا مشروعاتهم بالقوة

وتتلخص مطالبهم في الحصول على الاراضى من كبار الملاك وعلى الاخص من أولئك الذين يهملون أرضهم دون ان ينتفعوا بها أو يدعون الفرصة للفلاحين الذين يتضورون جوعاً أن يستفيدوا باستغلالها وفي أوائل عام ١٩٣٦ اطمأن الفلاحون إلى نباح الجبهة الشعبية

في الانتخابات البرلمانية ، ووجه أهل مقاطعة «كاسيرس» إنذاراً إلى مكتب اصلاح الاراضى ، يطلبون بمقتضاه أنه في خلال ثمانى وأربعين ساعة اذا لم توزع الارضى عليهم ، فيضعون أيديهم عليها بالقوة ، وأرسل رئيس المكتب خطاباً دورياً في ٧ مارس ١٩٣٦ إلى الملك يمدأهم فيه أن يقبلوا التنازل عن بعض الاراضى للمحرومين منها .

ومضت أيام خمسة لم يتلق المكتب أى اجابة على الخطاب الدورى . وعندئذ غزا الفلاحون الاراضى بدواهم وعرباتهم ، واستقروا في الاراضى التى تعجبهم ، وشرعوا في زراعتها .

وقد تدش أن يكون للفلاحين دواب ولا يملكون أرضاً . والحقيقة ان هذا المظهر الاجتماعى غريب عنا في مصر . ففى أسبانيا طائفة كبيرة من الفلاحين ، يمتلكون البغال يضربون بها في الارض ، ولكنهم خلو من الاراضى ويسمون في لغتهم « يونتروس » yunteros . هؤلاء اليونتروس أصابهم شظف العيش بعد اضطراب الأحوال السياسية منذ تبوأَت الجمهورية الحكم وقد طردهم الملك من أراضيهم نكابة فيهم ، وبثألهم راقيل في سبيل النظام الجمهورى الذى يكرهونه .

وسرت المدوى من مقاطعة كاسيرس إلى المقاطعة التى تجاورها

وتسمى « بداجوز » وهي مقاطعة قريبة من الحدود البرتغالية . في هذه المقاطعة سبعمائة ألف من السكان ، تعملون في المائة منهم يعيشون على ما تنبت الأرض من زرع . وتوزيع الأراضي على السكان في هذه المقاطعة يبين لنا التفاوت العظيم في الملكية ، وفي توزيع الطبقات ، إذ بينما نجد كبار الملاك الذين يمتلكون مساحات شاسعة من الأرض يعيشون منها في رغد وبذخ ، نجد إلى جانبهم آلاف من « اليوترس » وهم أصحاب البغال فقط ، يعيشون في بؤس شديد . واجتمع الفلاحون في الساعة الخامسة من صباح يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٣٦ واخذوا في مصادرة الأراضي وتوزيعها على أنفسهم . ولم يصادفوا في هذا الاجراء أى صد ، ولم يرتكبوا أى عنف .

ولم تكن غاية الفلاحين سوءاً ، بل كان جل قصدهم الاستقرار في أرض يطمئنون فيها إلى الحصول على العيش . ولذلك فانهم استولوا على الأرض كمتأجرين فقط ليس لهم حق ملكيتها وعلنوا استعدادهم لدفع إيجار الأرض لمن يثبت ملكيتها .

الاصلاح الزراعى ، واسامه توزيع الاراضى على الفلاحين ، كان يبشر بتحسين حالهم ، ورفع مستوى المعيشة . والحقيقة أن هذا

الإصلاح لم يكن كل شيء . فلا بد من شيء آخر يعمل في سبيل طرد
شبح الفقر والبؤس من أسبانيا ، هذه الدولة التي شاخت وهرمت وديت
عناصر الفساد في كل نسيج من أنسجتها . ولم تكن أسبانيا فقيرة على
التحقيق ولكنه سوء توزيع الثروة الذي أدى الى شعور ملايين من
أهلها بالفقر . ففي عام ١٩٣٤ و ١٩٣٥ كانت الآف من الناس تشكو
الجوع ، بينما المحاصيل الزراعية تزيد على حاجة البلاد .

وقد شاهدت طرفا من هذا بنفسى ، وذلك فيما يفعلون بما يفيض
من السمك عن البيم ، اذ يصطادون السمك كل يوم من الشواطئ ثم
يحمل إلى المدن الداخلية كمديد وغيرها ، وكل ما يتبقى بعد الأصيل ،
تعدمه البلديات خشية الفساد . ألم يكن الاجدر بيعه باجور رخيصة جداً
للفقراء أو توزيعه عليهم مجافاً ؟

هذه الإصلاحات كلها كانت اصلاحات مرتجلة ، وأنصاف حلول
للمشاكل التي تواجهها البلاد ، لم يرض عنها أحد .

فالبارونات والطبقة الأرستقراطية تضامنت في الذود عن حقوقها
الموروثة ، التي كانوا يعتقدون أنها من الحقوق الالهية ، فرفضوا أى
تشريع يرغم على النزول عن الاراضى للفلاحين ، ورأوا في الحركة التي

تمت في مقاطعة كاسيرس وباداجوز بداية الطوفان الذي يحتاجهم ويفرق دولتهم ، فزادت أسباب حقدهم على الحكومة ؛ فنحفظ واللائقضاض عليها والعمل على إسقامها . أما الذين فقدوا روح المقاومة والكفاح ، فقد فروا من الميدان ، وهربوا باموالهم الى خارج أسبانيا ؛ وهؤلاء عددهم ليس بالقليل .

وهكذا فقدت الطبقة الاستقراطية وملاك الاراضى كل أمل في هودة نفوذهم حين رأوا تصميم للشعب على استخلاص حقوقه بالقوة أو باللين . ولم يبق أمام هذه الفئة إلا سبيل واحد : هو العمل على قلب الحكومة . فاشتعلت الثورة في ١٨ يولية ١٩٣٦

وضم هؤلاء صفوفهم الى صفوف المعادين للجمهورية وهم ، الجيش ورجال الدين واصحاب رؤوس الاموال والملكيون وهؤلاء وأولئك هم القوى التى يعتمد عليها الجنرال فرانكو في ثورته

الجيش

الجيش هو أقوى عناصر الثورة الأسبانية ، ولكنه ليس أهمها
ولكننا أجبنا أن نتحدث عنه أولا لانه ابرز هذه العناصر .
والحقيقة أنه من العسير بيان نسبة النواحي المختلفة من الثورة
ومبلغها من الأهمية ، فهذه كلها مسائل اعتبارية لا تستطيع أن
تزنها بميزان دقيق .

وحقيقة الأمر أن الثورة في مظهرها وفي كثير من دعاتها
عسكري بحت فالذين قاموا بهذه الضربة المياسية الجريئة هم رجال
الجيش ، وعلى رأسهم الجنرال فرانكو وغيره ؛ وأكثَر من هذا
فالحكم في اسبانيا الوطنية حكم عسكري بحت .

ولم يكن الجيش في حركته التي قام بها مجرد آلة في يد الثوار
ووسيلة يدفعها ملاك الاراضى واصحاب الأموال ورجال الكنيسة
وغيرهم من المتذمرين لقلب الحكومة وقضاء غاياتهم من العودة إلى
الحكم والسلطان ، بل تحرك الجيش لأن له مآرب يريد أن يقضيها

فتورته ذاتية تحركها الشهوات والاطماع .

ومن المؤسف حقاً أن ينزل جيش أمة إلى معترك الخلافات الداخلية فيكون حرباً على أهله وذويه ؛ بينما الجيش عدة الوطن للدفاع عنه من الأعداء المغيرين ، والدروع الذي يقيه في ساعات الخطر

نقول هذا لأننا في مصر وشيكون على عهد جديد ، سيكون للجيش شأن عظيم في الدفاع عن سلامة البلاد، فليحفظ الذين يقرءون هذا الكتاب ما حدث لأسبانيا من جراء التدخل البغيض لرجال الجيش في السياسة الداخلية مما جر عليهم الخراب ، ولنتخذ من هذه الأحداث عظة تقينا شر هذا الزلاق في مستقبل الأيام

وتكوين الجيش الاسباني يعد من العجائب في القرن العشرين . ففي عام ١٩٣١ ، بعد الانقلاب الجمهوري مباشرة ، كان عدد الضباط واحداً وعشرين ألفاً ، بينما عدد الجنود بلغ مائة وثلاثين ألفاً ، أى بنسبة ضابط لكل ستة جنود تقريباً ، ثم اسكل مائة وخمسين جندياً جنرال . وإلى جانب ذلك كان الجيش يستغرق ثلاثين في المائة من ميزانية الدولة ، وهذا المبلغ الضخم يتوزع بنسبة ثلاثة إلى عشرة لكل من الجنود والضباط

فللضباط نصيب الاسد من تركة الدولة .

وللظروف الدولية اثر كبير فى وقف الرقى بالجيش . فاسبانيا كانت دولة محايدة فى الحرب الكبرى ، وليس لها مصلحة فى النزاع الدولى الدائر فى أوربا ، وليست مهددة بالغزو بواسطة قوة اجنبية ؛ ولذلك توالى الجيش ، ولم ينظر القائمون بأمر الدولة فى تحمينه .

ومع ذلك فقد كان للجيش سلطان كبير فى عهد الملكية كما ظل له هذا السلطان فى عهد الجمهورية . وأكثر من هذا فقد كان للزى العسكرى مكانة التقديس ، دون أن يخضع رجاله للقضاء العام .

وجملة القول أن الجيش كان فاسداً ، ضعيفاً ، لا يشغل رجاله إلا بالدسائس ؛ ولا يعضدون إلا الحكومة التى تحقق اطماعهم الخاصة وأطماع الطبقة التى نشأ منها الضباط ، وهى الطبقة الأستقراطية وملاك الأراضى واصحاب رءوس الاموال .

•علة العلل فى فساد رجال الجيش ، أنهم لم يفكروا فى مصلحة

الوطن بمقدار تفكيرهم في مصالحهم الشخصية .

ليس للضابط الاسباني أمل يسيره في الحياة إلا التفكير في الرقي العسكري والحصول على رتبة عسكرية . وليس هذا شأن رجال الجيش فقط ، بل هي الحال في آمال البيروقراطية الاسبانية جميعاً وهذه هي حال كل دولة تسودها البيروقراطية ، لا يفكر موظفو الدولة إلا في الترقيات والعلاوات والرتب . فالجيش برجاله إن هو إلا جزء من المجتمع ، ليس إلا ظاهرة من مظاهره المختلفة ومع ذلك فقد كان هناك ضباط آمنوا برسالة الجندية ، وأخلصوا لفرن الحرب في ذاته ، ونبغ منهم كثيرون على الأخص في الطيران والمدفعية بحيث لا يقلون شأنًا عن أضرابهم في الجيوش الأخرى . ولكن هؤلاء عددهم قليل ؛ وجودهم دليل على روح التوثب والتطلع إلى الرقي ومحاولة الخلاص من حالة الركود والتأخر اللذين كانت عليهما أسبانيا بالنسبة إلى الدول العظمى الأوروبية المجاورة لها .

ولكن الأغلبية ، التي نبني عليها الحكم العام ، هي كما ذكرنا لا تخلص لفنها بمقدار إخلاصها لمصلحتها من المطالبة بالرقى في الدرجات العسكرية والحصول على الرتب الرفيعة حتى يتسنى للذين يحصلون عليها أن ينعموا

بفضل اسم هذه الرتب في الحياة العامة .

ثم كان الزى العسكري يختلف ألوانه البهجة مما استهوى هذه الطبقة العسكرية أى استهواء ، وذلك بما كان يكسب صاحبه من التأثير الحسن فى ارتياد المجتمعات ، وعلى الاخص على النساء . وإذا صدقنا ما يقوله « فرويد » العالم النفسانى من أن الغريزة الجنسية لها أثر عظيم فى سلوكنا فى الحياة ، فان نظريته تنطبق إلى حد كبير على هؤلاء الضباط ، الذين كانوا يجدون فى إعجاب النساء بأزيائهم اللامعة ماحببهم فى الالتصاق بمهنة العسكرية لهذا السبب . وعقل المرأة فارغ تستهويها المظاهر الخلابه ، أكثر مما تؤثر فيها الحقائق الكامنة ، ولذلك كان الضباط خصوصاً ضباط السوارى لان زيهم كان أكثر بهجة وطرافة ، يحوزون اعجاب النساء وانعطافهم فى كل مكان يحلون فيه .

وحين يخرج الضابط من المدرسة الحربية إلى ميدان الحياة العامة ويرى نفسه محوطاً بهذا العطف المتعدد الجوانب ، ويلبس امتيازاه على اترابه من الموظفين المدنيين ، لا يلبث أن يدخله القرور ، فيضم نفسه فى غير موضعها الطبيعى .

وهو فى أول الامر لا يفكر فى قيمة المرتب الذى يتناوله . ولكنه بعد

أن يتعود ارتياد المجتمعات الراقية ، حيث يضطر ان يبدو فى هيئة معينة تناسب مقام الاستقرائية الذى ينزل فيه ، وما يتبع هذه المجتمعات عادة من الاسراف فى الشراب ، والجلوس إلى موائد الميسر ، يجد فى آخر الامر ان تكاليف المعيشة اصبحت غالية ثقيلة لا يحتملها المرتب الذى يتناوله . وعندئذ ينصرف تفكيره إلى سبيل الوصول إلى المال . وإلى جانب ذلك فانه اذا نقل الى جهات بعيدة عن المدن التى يجد فيها حظا ليليالى وسمرا الاصدقاء ، تبرم بهذا النقل وسعى سعيه إلى اى مكان ولو شغل فيه مركزا ثانويا ، أو عملا كتاييا لا يمت إلى العسكرية بصلة كل ذلك من أجل تأمين المعيشة السهلة المغرية التى كان يعيشها . وهكذا يبدأ الضابط وكله أمل أن يخدم بلاده ويخدم الفن العسكرى ، وينتهى به المطاف الى التكاسل والتقاعد وفقدان هذه الروح العسكرية .

إن الذين يظنون أن العلم ينتهى عند الحصول على الأجازة المدرسية يخطئون فى ذلك الخطأ كله . فالإنسان طالب للمعرفة مادام على قيد الحياة ، ولا بد لمن يريد أن يكون رجلا صالحا بمعنى الكلمة أن يستمر على الدوام فى الاطلاع على الآراء التى تمتجد فى الفن الذى تخصص

فيه ، خصوصاً في هذا الزمن الذى تخطو فيه المدنية خطوات واسعة
في طريق الكشف والتقدم

ولم يكن لدى الضباط الأسبانيين فمحة من الوقت لاستزادة
معلوماتهم ، والاطلاع على المستحدثات الجديدة في الحرب وفنون
القتال ، لأن مشاغلهم الشخصية كانت تحجبهم عن كل شيء آخر

ثم انظر الى الضابط حين يتزوج وينجب أطفالا ، عندئذ لا يطيق
حياة المكثات بعيدا عن زوجته التى تلقى فى أذنيه صباح مساء مشقة
المعيشة العسكرية ، وفضل الحياة المدنية السهلة الآمنة المطمئنة . وهى
معذورة فى ذلك لأنها ترى زوجات الموظفين والتجار ورجال الصناعة
وغيرهم يكسبون الاموال الوفيرة وينعمون بقرب أزواجهم

ولا تزال هذه الأقوال تؤثر فيه أرها حتى ينتهى الى الاعتقاد
بأنه ضحية الظلم ، منبوذ المجتمع ، ويتوهم أن الطبيب والمهندس والمحامى
والتاجر والصانم كل أولئك أعداؤه ، بل هم المسئولون عن معيشتهم
المنحطة التى يعيشها بالإضافة اليهم

ولكن ذاكرته الضعيفة تنسيه أيام الشباب حين كان ينزو قلوب
النساء بفتوته وزيه ومركزه . قتل الألمان ما اكفره . . .

والخلاصة أن العداء أصبح مستحكماً بين رجال الجيش والموظفين المدنيين . يعتقد رجال الجيش انهم مغبونون ، ومستواهم أقل من المستوى الاجتماعى لغيرهم من الموظفين فى الدولة ، فأخذوا يطمعون فى إعادة الهبة الى طبقتهم ، والنفوذ إلى رجالهم .

وليس أسهل من اللعب بالسلاح لمن يمتلك فى يده السلاح . وهذا هو السر فى أنه حين دعا داعى الثورة ، قام الجيش على رأسها ، ورفع علمها ، واستمر يعضدها حتى الآن

كان الجيش يتخلله الفساد والضعف وتسود رجاله روح المؤامرات والفسائس ولا يميل إلا إلى الحكومة التى توجب مطالبه وهى الطبقة الاستقرائية التى منها خرج الضباط .

ولم تخف هذه الحقائق كلها على الحكومة الجمهورية ، ولذلك أرادت التخلص من الرجال الذين تعلم حقهم على مبادئها . وكانت الحكومة مسرفة فى العطف عليهم فعرضت عليهم احوالة من يشاء منهم الى الاستبداد على ان يتناول وهو فى المعاش المرتب الذى كان يتناوله وهو فى الخدمة وكان العرض جميلاً فانتهم هذه الفرصة ثمانية الاف ضابط وطلبوا الى احوالة الى الاستبداد ، حيث أخذوا يعيشون حياة كها دعة وتترف

وشرعوا يدبرون المؤامرات ضد الحكومة ، وكثرت مطاعنهم العلنية على قارعة المقاهى العامة . واحتمات الحكومة من بقى منهم على مضض ولكنها لم تطق فى آخر الامر صبراً ، فعزمت على اتخاذ بعض الاجراءات الحاسمة بشأن الضباط الخارجين على مبادئ الحكومة المتآمرين عليها وذلك قبل نشوب الثورة بزمن قليل فأرسلت إلى جزر كناريا الجنرال فرانكو ؛ وإلى جزء البليار الجنرال جودد . وهناك عمل الجنرالات المغضوب عليهم المنفيون على تدبير وسائل الثورة فى هدوء وسكينة بعيدا عن مدريد مركز الحكم . وظنت الحكومة بهذا الاجراء انها ادخلت الخوف إلى قلوب الضباط الذين لا يدينون لها بالولاء ، ولكنها على العكس من ذلك أثارت فيهم روح الحقد والضعف ، ايقنوا ان عمل الحكومة هو نذير الحرب عليهم ، فأخذوا فى التحضير الى الثورة .

أتمد حلف رجال الجيش بمين الاخلاص والولاء للحكومة وللمستور الاسباني ولم تمنعهم هذه الايمان من ان يحنثوا بها فيعملوا على قلب الحكومة التى حلفوا لها بالطاعة .

وفى هذا اكبر دليل على أن الشرف كلمة تسطر فى الكتب ولا يعمل بها أحد ، أما النفاق فهو الدين الذى يدين به أكثر الناس

رجال الدين

للدين سلطان كبير على النفوس .

وهو ضرورة اجتماعية ؛ لا تجمد جماعة لادين لها ، سواء في ذلك الجماعات البدائية أو الجماعات المتحضرة .

واذا كان الناس في القرن التاسع عشر والقرن العشرين خصوصاً في أوروبا ، قد خلعوا عن أنفسهم رداء الاديان وعادوا إلى الزندقة ، فلا نظن إلا أن هذه الموجة المادية موجة طارئة سيعود العالم بعدها إلى الاحساس الديني إن لم يكن اليوم ففي الغد القريب . وفي كل عصر عاش الملحدون إلى جانب المؤمنين . ولعل في سياسة رجال الدين ، أو بعض رجال الدين من الخروج على المبادئ القويمة ، والتبذل الممقوت ، ما جعل كثيراً من الناس ينظرون إلى الاديان بعين الريبة ، والاديان في ذاتها براء مما يدنسها كثير من الرجال الذين يتجرون باسمه .

عاشت أديان ثلاثة في وثام تام جنباً الى جنب في الاندلس حتى نهاية القرن الخامس عشر ، هذه الاديان هي الإسلام والمسيحية واليهودية . ولكن الاسبانيين بعد أن طردوا العرب من أسبانيا وطرّدوا اليهود كذلك ، قضوا على هاتين الديانتين قضاء تاماً ، بالرغم من المواثيق والعهود التي اعطيت للمسلمين واليهود لتأمينهم على حرية العقائد الدينية . وحدث الاسبان في عهودهم واضطهد المسلمون واليهود اضطهاداً شنيعاً ، أثر معه كثير منهم الهجرة على البقاء مع تغير الدين والعقيدة

وأقيمت محاكم التفتيش لحساب المذهب الكاثوليكي . وارتكبت الفظائع التي تستبشعها الإنسانية . فلم يبق على أرض أسبانيا شخص يدين بخلاف المذهب الكاثوليكي . واصبحت الدولة الاسبانية الحصن الحصين للكاثوليكية : وأصبح لرجاله سلطان عظيم ونفوذ كبير حتى عام ١٩٣١

أما المسلمون فقد اقترضوا ودانت دولة الاسلام . ولم يبق منه الا بعض عادات لا يزال الناس يتطبعون بها تنبىء بما كان للاسلام

من شأن .

أما اليهود فخيويتمهم أكثر ، وتعلقهم بدينهم أشد ، ومابالك بأمة لا وطن لها مشتتة على وجه الأرض منذ ألفى عام ومع ذلك لا يزال دينها قائماً حتى الآن .

قابلت في قرطبة في الفندق الذى نزلنا فيه شاباً يتكلم اللغة الفرنسية يشتغل « قومسيونجى » وكان ثنائراً ، طلب منى أن اصحبه لزيارة كنيسة اليهود التى أقاموها في ٣٠ مارس سنة ١٩٣٥ احياء لذكرى موسى بن ميمون الفيلسوف الاسبانى اليهودى وذلك لمناسبة مرور ثمانمائة عام على وفاته : ثم قال لى إن اسمه « ابراهام » وهذا الاسم يهودى ، وهو يعتقد ولو أنه مسيحى إلا أنه من أصل يهودى ولذلك فهو يحسن الى اليهود . والواقع أن الاسبان حين طردوا العرب واليهود ، وأكروها من يريد أن يستقيم فى البلاد على اعتناق النصرانية ، اعتنقها كثيرون مكرهين ، ولكنهم ظلوا على دياناتهم سرراً ، وأخذ الخلف يتناقل عن السلف حديث الدين القديم ، وهذه الأسماء اليهودية عنوان على الاصل اليهودى .

أخبرنى « جورج شقير » وهو سورى صاحب بنسيون اسمه بنسيون باريس فى شارع الطريق الكبير فى مدريد ، أخبرنى أنه عقد

مرة صلة مع فتاة أمبانية وتقاهما على اتواج ، ثم جدت ظروف أحب معها أن يقطع صلته بهذه الفتاة ، فما كان منه الا انه أخبرها في أحد الايام أنه يهودى ، فاذا بها تبتعد عنه كلية ولم تحاول بعد ذلك مقابله . وهذا يدلنا على الحقد المتأصل بين المسيحيين واليهود .

ولما تم الانقلاب الجمهورى الاخير ، وأعلن انفصال الدين عن الدولة وضعف سلطان الكنيسة الكاثوليكية على الحكومة وأعانت الحرية ومنها الحرية الدينية ، تدفق اليهود من جديد على البلاد الاسبانية ، واستقروا أكثر الامر فى برشلونة . وهذا أحد الاسباب التى حقد من أجلها رجال الكنيسة على الحكومة الجمهورية ، وشايهم فى ذلك جمهور المتدينين .

كانت الكنيسة على ثروة عظيمة ، فنصف أراضي اسبانيا تقريبا كانت ملكا لهم . أضف الى ذلك أنها وجهت نظرها الى الاعمال المالية فكان لها مصانع ، ومحلات تجارية ، وفنادق ، وصحف ... بحيث اذا ضمت كل ذلك بعضه إلى بعض أصبحت الكنيسة من كبار الرأسماليين وإلى جانب ذلك كان القسس وكل من يشغل وظيفة فى الكنيسة يتناول مرتبه من الدولة ؛ فهى التى كانت تؤمن معاشهم ، فى نظير ما يقوم به رجال الدين من مباشرة الفئون الروحية كما كان التعليم

موكولا اليهم .

كتب مراسل جريدة التيمس في لندن في اكتوبر ١٩٣٦ ما
يأتى « كانت الكنيسة جزءاً من الحكومة التى كان الشعب ينظر اليها
نظرة إلى الظالم المستبد . . . ثم أن الكنيسة كانت تأخذ نصيباً كبيراً
من مالية الدولة . وكانت الكنيسة تزرع تحت أعباء رجال الدين
وانك ترى كل يوم فى الاحتفال بدفن أقل الناس خمسة عشر أو
عشرين قسيساً يسارعون بالمطالبة بأجرهم »

فالكنيسة بما كانت تتناول من مرتبات رسمية من ميزانية
الدولة المربوطة ؛ وبما كانت تقوم به من اعمال صناعية وتجارية ؛
اصبحت عجلة مهمة من عجلات النظام الحكومى .

وتم بذلك الجفاء بين الشعب وبين رجال الدين .
كما وقف الشعب موقف اللعداء من الملاك واصحاب رموس
الاموال .

ولم يكن سلوك رجال الدين الاجتماعى باعثاً على الاحترام أو
الرضا . ففي الاغلب لم يخضع رجال الكنيسة ، ونعمى بهم من
يحملون الرى الكهنوتى للقضاء ؛ كما ذكرنا سابقاً من اعفاء العسكريين

من القضاء المدني . وهؤلاء وأولئك كانوا يرتكبون من الجرائم الاخلاقية ما تندى له جبين الفضيلة دون خشية من زاجر أو رادع

كتب جوزي ماريا استاذ التاريخ بجامعة مدريد في مجلة دينيه فرنسية في نوفمبر ١٩٣٦ قال .

« كان الملك شخصيا والحكومة كلاهما يستقبل المطارنة رسميا ، وذلك في عهد الملكية الدستوري دليلا على الروابط القديمة التي كانت تربط التاج بالكنيسة . وقد ادى هذا الحق إلى شيوع الدسائس واندماج المطارنة في تيار السياسة ، فهذا المطران صنيعة زيد من رجال السياسة ، وهذا المطران ظل لعمر من الوزراء : وهكذا أصبح من العسير اختيار رجال الدين بحيث يؤدون رسالتهم الروحية الواجبة ، لأنهم مع استثناء القليل منهم كانوا يلتقون بأنفسهم في أمور الدنيا ويشغلون أنفسهم بها ويلتصقون بكبار رجال الدولة ، ويغشون طام النبلاء والطبقة الراقية بحيث شغلهم هذا الانصراف الى طبقة الاغنياء من الاحتكاك بالشعب . هذا هو السر في الفجوة العميقة التي فصلت الكنيسة عن الشعب لان الكنيسة أهملت واجباتها نحو »

وكتب مطران جبل طارق التابع للكنيسة الانجليكانية في ٢٦ فبراير ١٩٣٧ يقول (لقد فشلت الكنيسة الكاثوليكية الاسبانية مع الاسف الشديد في تأدية رسالتها من جهة التمثيل الصحيح للمسيحية في أعين الشعب)

* * *

لم يغتفر رجال الدين للحكومة الجمهورية ، التي قامت نحوم باجراء حاسم قضى على سلطانهم العريض فقد كان برنامج الجمهورية يشتمل على ثلاث خطوات أصابتهم في مقتل وهي :-

١ - فصل الدين عن الدولة

٢ - إعلان حرية العقائد

٣ - جعل التعليم مدنياً لا دينياً

حين كان التعليم موكولا الى الكنيسة بلغت نسبة الامية في اسبانيا ستين أو سبعين فى المائة . فلما خرج التعليم من ايديهم دبرت للحكومة حملة عظيمة لمحو الامية ونشر التعليم ، وافلحت الحكومة أو على الاصح فجعت الجمهورية ، فيما فشلت فيه الكنيسة ورجالها

فأثار هذا النجاح روح الحمد والحمد من جانب رجال الدين
هذا ولم يكن هناك وداد أو انعطاف بين الكنيسة وبين الجمهورية
وزادت كراهية رجال الدين للجمهورية بعد انتصار الجبهة الشعبية
ومنذ اليوم الذي اعتلى الجمهوريون فيه كراسي الحكم شرع
الكهنوت يكافحون الحكومة سرا وعلانية الى أن أعلن فرانكو
الثورة

ولم يكن الجمهوريون يحملون بين جنوبهم الاخلاص لرجال الدين
فالكرهية متبادلة ولكن بالرغم من كل ذلك فلم يصل الحد بالحكومة
الجمهورية الى اضطهاد الكنيسة والقلوب في محاربتها ، بل على العكس
من ذلك كانت الديانة الكاثوليكية محترمة كل الاحترام وشعائر الدين
تقام دون أن يتعرض لأصحابها انسان ، وأكثر من ذلك فإن
الحكومة نفسها كانت تحمل رغبة صادقة في رفع راية السلام بينها
وبين الكنيسة ، فالموالد كانت تجرى بين الاضواء اللامعة والاعلام
المرفوعة كما كان الامر في سالف الايام . كذلك بعثت الحكومة كبار
رجالها في الاحتفال بأضائة كنيسة برجوس .

واذا كان حقا أن الجمهوريين في بعض الاماكن الاسبانية اعتدوا

على القمص وعلى الكنائس ، فهذه حوادث فردية إن دلت على شيء
فإنها تدل على كراهية الشعب للطريقة التي كان رجال الدين يسرون
عليها ، وقد تحولت هذه الكراهية من الأشخاص الذين أساءوا إلى الدين
باسمه إلى التعاليم الدينية ذاتها

فلما أعلنت الثورة كان من الطبيعي أن ينضم رجال الدين إليها
ويؤازروها بكل ما أوتوا من قوة ، حتى أصبح الدور الذي لعبوه
في الثورة يعتبر من أهم الأدوار .

من الساعة الأولى التي دقت فيها نواقيس الثورة وضع رجال الدين
أيديهم في أيدي الثوار وخرجت جيوش فرانكو وقد باركها المطارنة
بل لبس القمص الملابس الدينية ونزلوا إلى ساحة القتال ليسددوا
النيران ضد الجمهوريين ؛ هؤلاء القمص المفروض فيهم أن يكونوا
دعاة سلام بدل أن يكونوا رسل الخصام : ونموا في غمرة حقدهم
وحفيظتهم تعاليم السيد المسيح التي تقول (من ضربك على خدك الأيمن
فأدر له خدك الأيسر)

وأصبحت الكنائس والأديرة معاقل لجيوش فرانكو ؛ يحتمون وراء
أبنيتها المقدسة من الأعداء ، فاقبلت أمكنة العبادة إلى ميادين

للحرب والقتال ؛ وحلت أصوات المدافع ورصاص البنادق محل ترتيل الكنائس في طلب الرحمة والغفران .

كتب المسترج . ل . ستير مراسل صحيفة النيويورك تيمس في ١٩ مايو سنة ١٩٣٧ يقول « احتل جند الثوار مقبرة وكيسة ، وقد رأيت المدافع الرشاشة موضوعة في جرس الكنيسة »

وزادت هذه الاجراءات في حق الحكوميين فلم يجهدوا بدأ من ضرب الكنائس بالقنابل مادامت معاقل للثورة

وشاهدت منطقة الجمهوريين طائفة الاضطهادات التي يؤسف لها حقاً برز فيها غضب الشعب على رجال الدين ، فاعتدوا على أصحاب الزى الكهنوتي أينما حلوا ، ونهبوا الكنائس من ذخائرها ونفائسها .

واستغل الثوار هذه الحوادث الفردية القليلة ، واتخذوا منها دعابة واسعة بامم الدين . وعامة الشعب يتأثرون بسرعة لكل ما عيس العقائد ، ولا غنى للناس من اقامة مشاعر الدين . لذلك أفلحت الدعابة الديقية في منطقة الثوار كل القلاح .

ومن أنواع دعاياتهم زول رجال الدين بملابسهم الكهنوتية إلى ميادين القتال ، كما شجع القاتيكاز حكومة الثوار .

ولقد وقع في يقين الثوار أن الحرب الأهلية سريعة النهاية ، وأن دخول مدريد قاب قوسين أو أدنى من بدء الحرب .

ولكن حكامهم فشل ، فاضطربت خططهم جميعا وركبوا رؤوسهم فلم يعد باستطاعتهم التقهقر أو الوقوف في منتصف الطريق .

من الناحية السياسية اضطرت الثوار الى الاستناد إلى الحراب الايطالية والألمانية .

كذلك تورط رجال الدين في تشجيعهم هذه الحرب ، فلم يسعهم إلا الاستمرار ، فاتخذوا الجهاد أسماء جديدة كالحرب المقدسة ، والحرب الصليبية والمسيحية الحربية

كتب الكردينال « جوما » نشرة عنوانها « الحالة في أسبانيا » وزعت في الرابع من شهر ديسمبر سنة ١٩٣٦ أي في الشهر الذي ضرب فيه الحصار حول مدريد ، سننقل منه بعض الفقرات لما في ذلك من فائدة في بيان موقف رجال الدين ، ونظرياتهم الجديدة بأزاء الثورة . « هذه الحرب القاسية هي في الحقيقة حرب مبادئ ومذاهب ، هي حرب نظرية جديدة في الحياة لما تخالفها . أما الحرب التي تقيمها الروح المسيحية الأسبانية ضد الروح المخالفة لها ، فهي الحق ، لأن

الروح الجديدة ان هي إلا مادية الماركسيين . وقد كانت أسبانيا على حافة الهاوية ؛ فارادوا خلاصها بمحمد الحيف . ولعل هذا السبيل هو العلاج الوحيد .

« وقد اتخذت الثورة مظهراً دينياً تنضح آثاره في هذا الايمان المتفجر من أعماق قلوب الجنود .

« وانك لو تصورت هذه الحرب بدون العاطفة الدينية التي تحركها فستجدها حرباً ميتة لا حياة فيها . واذا كان حقاً أن حب الوطن كان محرّكاً قوياً للمجموع ، فما من شك في أن الاحساس الديني قد اجتذب عدداً غفيراً الى الثورة وبث في الجند تفانياً في الشجاعة .

« الحرب الحالية تبدو كأنها حرب اهلية لأنها تضرب الاسبانين بعضهم ببعض على الارض الاسبانية . ولكنك إذا تفقت إلى ما وراء هذه النظرة السطحية ، لوجدت فيها روحاً لحرب صليبية من أجل الديانة الكاثوليكية ، التي عاشت قروناً في أسبانيا حتى أصبحت كالعمود الفقري لنظمها وحياتها »

هذا الموقف الذي وقفته الكنيسة في أمبانيا في اعلانها الحرب

صراحة على حكومة البلاد الشرعية ، والنزول إلى ميادين القتال، أضرت
الكاثوليكية في أسبانيا أكثر مما أفادتها ، مهما يكن الفائز في الحرب
في نهاية الامر ، سواء أكان الجمهوريون أم الثوار . فرجال الدين
سيحملون وزر الحرب التي اشتركوا فيها الى جانب فرانكو .

وسيتحدث التاريخ في مستقبل الزمان أن فرانكو هو الرجل الذي
ألقى القنابل على المدن المكشوفة وأنزل الرعب بالسكان الآمنين مما
يتنافى مع المبادئ الشريفة للحرب ، وهو الذي خرب مدريد بالقنابل
وهي عاصمة البلاد وفيها من الآثار ما يجمع حضارة عظيمة ازدهرت
على توالي الزمان . وهو الذي سلط جند المغاربة الأجانب عن أسبانيا
على أهلها ، وهو الذي سمح للجيش الايطالية والمانية أن تضرب
سكان البلاد . سيذكر اسمه مقرونا بالخراب الذي حل بالمدن والاراضي
والمذابح التي حلت بآلاف الرجال والنساء والاطفال .

وإذا خرجت اسبانيا من هذه المعارك الدائرة منتصرة آخر الامر
فانها لن تغتفر لفرانكو ما فعله ، ولن تغتفر اصمال الذين والوه وعضدوه
من رجال الدين ؛ ومن ذا الذي ينسى أن رجال الدين وضعوا أيديهم
في أيدي فرانكو ، ذلك الرجل الذي تقطر يده بالدماء

وفي ذلك يتسول مراسل صحيفة الهerald الكاثوليكية بتاريخ ٢١
اغسطس سنة ١٩٣٦ « لن تريح الكنيسة شيئاً من العودة الى المظان
تحت ظل حراب فرانكو ، ذلك أن الدين الكاثوليكي في أسبانيا لا ينقذه
الا نهضة روحية حقة تظهر الدين مما علق به من مفاسد »
والخلاصة أن دعاة كبيرة من الدعائم التي استند اليها فرانكو في
ثورته هي الدعوة الدينية . وقد لجأ رجال الكنيسة الى فرانكو يعضدوه
رغبة في الدنيا لا حماية للدين . وهكذا اتجه الدين الى المذاهب المادية
التي يحاربها رجال الدين .

دفاع مدريد المجيد

نشبت الثورة وأركانها الطبقة الأرستقراطية وأصحاب الأراضي ورءوس الأموال والجيش ورجال الدين ، فاذا بقي بعد ذلك من أهل البلاد ، ومن هم هؤلاء الذين قامت الثورة ضدهم .

إنه الشعب

إنهم الفلاحون والصناع ، أولئك الذين عرفوا طعم الجوع والعري والذل والهوان ، وهؤلاء هم السواد الأعظم والدماء والعمامة الذين أبوا أن يعودوا الى معيشة الاستبداد بعدما رأوا من الحرية والنور فقاموا قومة رجل واحد يدافعون عن حريتهم وعن حقوقهم وعزتهم وكرامتهم

وقد كانوا عزلا من كل سلاح إلا سلاح الحق والأيمان ، واتخذوا أما وقعت عليه أيديهم عدة للدفاع ، فاجتمعت جوعهم الغفيرة في شتى المدن كمديرد وبلنسية وبلباو وغيرها وهم يحملون الطوب والعصى وأشياء هذه الاسلحة الضعيفة التي لا يملكون غيرها وأعلنوا الجهاد

وسادت هذه الروح أغلب البلاد الاسبانية في منطقة الجمهوريين وفي المنطقة التي دخلها الجنرال فرانكو أيضاً . ولكن الجهات التي استولى عليها الثوار بقوة السلاح ، أخضعوا صوت الشعب بالقوة مرتكبين من اللفظائم ما يستنكف الإنسان ذكره ، والتي وصفنا طرفاً منها في بدء هذا الكتاب

وكما نبتت أقدام الجمهوريين والشعب في الدفاع عن أنفسهم والدود عن الاراضى التي يمتلكونها ، زاد سخط الثوار وزادت فظائهم التي يرتكبونها واضطربت أمورهم وحل الغضب في قوسهم فقد كانوا يعتقدون أن القضاء على الحكومة الشرعية لن يستغرق إلا بضعة أيام يدخل الثوار بعدها مدريد دخول الظافرين وبذلك يسدل الستار على هذه الرواية : ولكن حمايتهم كله انهار بعد دفاع الشعب المجيد ، ووقوفه في وجه المتبدين

ولما طالت الحرب ، أطلق الثوار على انفسهم اسم الوطنيين بينما الحكومة الشرعية أطلق عليها لفظ الشيوعيين والجرم . وسارت هاتان التسميتان طوال هذه الحرب حتى الآن

وقد أوشك الشعب بعد بدء الثورة مباشرة ، في النصف الاخير من شهر يولية وفي الايام الاولى من أغسطس أن يقضى قضاء مبرما على الثورة مهما كلفهم الامر ، فلجأ الثوار الى الدول الأجنبية يستمدون منها العون على أهلهم ومواطنيهم ، وقدمت إيطاليا والمانيا كثيرا من الجند والدخائر الحربية والطائرات لمساعدة الثوار وبذلك استطاعوا أن يثبتوا في ثورتهم وأن يستمروا في حربهم

وأما جيش الحكومة الشرعية فبالرغم من حسن بلائه في الدفاع فقد كانت تنقصه أشياء كثيرة أولها الجند ، فقد علمت أن الجيش كان عماد الثورة ، وبذلك تركوا الحكومة دون جيش . وهب الناس يتطوعون في سلك الجيش الجديد للدفاع عن الوطن والوقوف أمام هيل الفاشستي . وليس صحيحا أنهم حاربوا رغبة في الحرب ، فلك أن أسبانيا منذ عهد نابليون لم تمتشق الحسام في حرب خارجية ، لا زهدا في الحروب ، بل لأن الظروف السياسية لم توجه سهامها شطر هذه الدولة . ولقد كان في الحرب الكبرى الأخيرة فرص حنة لنزول الأسبانيين إلى ميدان هذه المعركة العظيمة التي اكتوى بنارها أغلب الدول ، ولكنها لم تدخل ، وظلت بذلك على الحياد . فابتعاد أسبانيا عن الحروب زمنا طويلا أفقد أهلها الروح الحربية ، كما أن الطبقة

المجندة كل عام كانت محدودة . ثم إن ما يقرب من تسعين في المائة من الجيش العامل انضم إلى فراנקو ساعة أن أعلن الثورة وبذلك أصبحت الحكومة بغير جيش مدرب ، ولكن حماسة المجندين في سبيل الدفاع عن قضيتهم عوضتهم ما يفقدونه في التجربة وقلة السلاح .

بعد ستة اشهر من بدء الحرب لم تستطع الحكومة أن توزع على جميع جنودها بنادق لكل فرد منهم ، وقد كانت قلة البنادق في هذه الشهور الأولى مؤديا إلى كثير من الخسائر ، وأرسات المكسيك عشرين ألف بندقية في وقت كانت الحاجة ماسة اليها ولكنها لم تكن كافية . ومن ملاحظات أحد الصحفيين الذين زاروا جهة القتال أن بعض البنادق عليها تاريخ سنة ١٨٩٦ . أما المترايوزات والمدافع فكان عددها قليلا جدا ، بينما الطائرات لا وجود لها لدى الحكومة . وقد أهاب الكاتب الروائي الفرنسي أندريه مالرو مواطنيه أن يتبرعوا للحكومة أسبانيا بما يشتري اسطولا جويا ، وأعدت الطائرات ومافرت وحلقت وكان عملها جليلا ، ولكن هذا الاسطول لم يستطع أن يقف على قدم المساواة إلى جانب الطائرات الالمانية والايطالية المجهزة أحسن للتجهيز والتي كان جيش فراנקو يزخر بها .

في مثل هذه الظروف المختلفة ، من قلة الجند ونقص تجاربهم وندرة آلات القتال وسوء حال الموجود منها ، في مثل هذه الظروف لم يصادف فرانكو مقاومة جديدة في تقدمه السريع ، فاحتل بداجوس ثم مريدانم كاشيراس ومنها الى طليطلة حتى اقرب من مدريد نفسها . وفي ٦ نوفمبر ، أي بعد أربعة شهور من اعلان الثورة ، وصل الثوار الى أبواب العاصمة

في تلك الاثناء أقام الثوار حكومة عاصمتها بورجوس بعد أن رأوا أن الحرب طال أمدها عما كانوا يحسبون . وألغت الحكومة الجديدة بمراسيم جميع القوانين التي أصدرها الرئيس «أزانا» لاصلاح الفلاحين والأراضي ، وأعادت الأراضي التي وزعت على الفلاحين إلى أصحابها الملاك . وصدر منشور يلغى التعليم المدني ويعيد التعليم الديني إجبارياً في جميع المدارس . وحل العلم الملكي محل العلم الجمهوري . وبذلك أظهر فرانكو بأعماله هذه أنه عدو اصلاح الشعب وارجاع حقوقه وأنه نصير الرجعيين في البلاد

أما الشعب فقد أعلن إرادته في ١٦ فبراير ١٩٣٦ بأنه مصمم على محاربة أعداء التقدم والاصلاح وأنصار فرانكو . وأعلن الشعب

ارادته بتأديب الفرق التي ثاوت من الجيش في برشلونه ومديره وغيرها وأخيراً فإن الشعب لا يزال يعلن ارادته من الوقوف أمام فرانكو وجيشه وأعدائه من الجانبين حتى الآن .

وكان فرانكو في خلال شهرى سبتمبر و اكتوبر بعد إعلان الثورة يتقدم بسرعة كبيرة نحو مدريد كما ذكرنا ، ولكن أهل البلاد من الفلاحين والعامة أبوا أن يخضعوا لسلطان القوة وهم عزل من السلاح لا يستطيعون عن أنفسهم دفاعاً ؟ فكان سكان القرى كلها سمعوا بقرب وصول جيش فرانكو أخذوا القرية وتركوها تنعمى من بنائها ، بعد أن يجمعوا حوائجهم القليلة يضعونها فوق العربات تحمىها البغال وقد جلس على ظهرها الشيوخ والأطفال ، بينما الشباب رجالاً ونساء يسرون خلفها نحو مدريد . ولم يكن يدري هؤلاء الفارون الهاربون الى أين المصير ، فهم يسرون في الأرض وحسبهم انهم ابتعدوا عن فرانكو رمز الظلم والاستبداد . كانوا ينامون في الطريق تظلمهم السماء وينعمون بالحرية

أما دفاع مدريد فهو اعلان جديد على نفور الشعب من فرانكو . لقد اعان جيش الثوار في مناسبات عدة انه سيدخل مدريد في

أيام عينها سلفا ، ومع ذلك فلا تزال مدريد تدافع حتى الآن .

أدهش دفاع مدريد العالم أجمع كما أدهش الثوار . ويعتبر هذا الدفاع المجيد من أكثر الصفحات بطولة وخلودا ، سيكتب لسكان مدريد بعداد من الفخار .

ولقى أهلها من الشدائد ما يعجز الوصف عنه وهم صابرون .
والتخذوا شتى الوسائل للاستمرار في القتال والصبر على شظف العيش .
بعد أن ضرب جيش الثوار عليهم الحصار . ووقف التزام عن الحركة
لأن مخازنها وقعت في أيدي فرانكو وخرج الرجال جميعا الى القتال
واستقروا في الخنادق المضروبة حول مدريد وبذلك خلت مدريد
نفسها من الرجال وأصبح مصيرها في أيدي النساء ، اللاتي كن يخرجن
في الصباح المبكر من دورهن ، ويقفن في صفوف طويلة ينتظرن
توزيع الخبز والارز والزيت عليهن كل واحدة بدورها ، بينما أزواجهن
وأخواتهن وأبنائهن يقتتلون على القرب تحت وابل من نيران الثوار .
أما الاطفال فكانوا يتركون في عقر الدور ، وما يدرى أحد
مصيرهم أيعيشون في أحلام الطفولة أم تجتاحهم قنابل الطليان التي

تقذف من الطائرات دون رحمة أو شفقة

ولا يزال السكان يقاسون نقص الأقوات ومواد الوقود ، حتى الماء لم يكن يجري في الأنابيب إلا ساعات معينة من النهار . ويقف النساء صفّاً صفّاً ساطات طويلة وهن حاملات أطفالهن على أذرعتهم في انتظار توزيع القوت الضروري . وكثيراً ما رمى الأعداء القنابل على هذه الجموع المحتشدة من النساء ؛ قنابل بلغ ثقل مافي كل واحدة منها من المفرقات مائتين وخمسين كيلو لا تلبث أن تنفجر فلا ترى بعد ذلك إلا أشلاء متناثرة ، هنا عضو من أعضاء الجسم وهناك عضو آخر ، وهذه أمعاء قد تطايرت فالتصقت بالجدار ، جموم مشوهة مقطعة متناثرة في كل مكان . هذه الحال مثيرة للأعصاب إلى حد يصعب معه الاحتمال ، بل المعيشة وسط هذه المناظر المؤلمة من العسير أن تطاق ومع ذلك احتمل سكان مدريد كل ذلك ؛ ويكفى أن تعرف أن السكان الذين نعينهم هم النساء حيث جميع الرجال القادرين قد خرجوا الى ميادين القتال . ولو أن عشرة آلاف امرأة ذهبن الى فرانكو فراراً مما يلقين من شدة العيش وذعر الحياة ، لألقت مدريد مقاليدها في أيدي فرانكو ولكن النساء كالرجال لم يرعبن موت ، ولم يخفن تعذيب ، فاعلن ارادتهن

كما أعلن الرجال من قبل ، ارادة الحرية التي لا تخضع لسلطان فرانكو أو غيره .

وهكذا اضحى النساء فى سبيل الحرية والديمقراطية كثيراً من الابرواح . وما قيمة الحياة مع الذل ، وما قيمة حياة الفرد الى جانب حياة الوطن وكرامة البلاد . لقد دفعت مدريد الثمن غاليا ولكنها لم تغلب على أمرها واحتفظت بكرامتها

ومن اعجب الكتابات التى سطرت على الجدران فى مدريد هذه الجملة «ستصبح مدريد مقبرة الفاشيست» وليست هذه الجملة الامظهرأ لارادة الشعب ، وجدير بهذا الشعب أن ينصر فى النهاية ما دام نعاؤه قد ابرزن فى الشجاعة ما يفوق شجاعة الرجال .

التدخل الاجنبى

سيظل التدخل الاجنبى فى أسبانيا الوطنية نسبة فى تاريخ أسبانيا الحديثة على مدى الدهر فالمنطقة المسماة بالوطنية أو بالفاشستية وهى منطقة فرانكو والثوار، وهى تخالف مدلولها الحقيقى: تعتمد فى قوتها وفى حربها لا على سواعد الجيش الذى قام بالثورة ولا على الروح الوطنية، بل تعتمد على فن العسكريين من الالمان وعلى الفرق الايطالية. ويعتقد الكثيرون أن السر فى قوة الثوار يرجع إلى المعونة الايطالية بينما الحقيقة غير هذا، إذ أن مساعدة ألمانيا تعتبر أساس قوتهم.

ذلك أن الايطاليين يميلون إلى المظاهر الزائفة للخلافة، فأعلنوا للعالم أجمع حقيقة أنحيازهم إلى جانب الثوار ومساعدتهم لهم ولم ينكروا من كل ذلك شيئاً بل على العكس من ذلك فهم يتباهون بالانتصارات التى يحرزها فرانكو ولا يخفون أن هذه الانتصارات راجعة إلى جندهم أما الالمان فهم أكثر حيطة وحذراً وصبغوا تدخلهم بقناع كثيف

ويكفيهم أنهم وضعوا أيديهم على المناجم التي تعدمن الثروات الكبيرة
ثم إن الاجهزة المضادة للطائرات، والمدافع الثقيلة، والنفثات الكهربائية
كلها ألمانية ويشرف عليها مهندسون من ألمانيا .

والايطاليون في محاولتهم الظهور، يستعرضون جيوشهم في الشوارع
ويسير جنودهم بملابسهم الرسمية في الطرقات العامة وفي القرى وفي كل
مكان ولم يكفهم ذلك بل احتلوا مراكز البريد ومحطات السكة الحديدية
وديدباناتهم في كل مكان يطلبون من كل غاد ورائح جواز المرور وخليق
بهذا الوضع الذي وضعوا فيه أنفسهم أن يؤدي إلى كثير من المزالق
التي تقصد علاقاتهم بالشعب الاسباني . أما الالمان فانهم أكثر
حكمة ، حتى إن موظفيهم غير العسكريين الذين يشغلون في الجيش
مراكز لا تتصل إلى العسكرية فانهم لا يبدون في الزي العسكري الألماني
بل في الزي المدني حفظا لشعور البلد التي ينزلون فيها وإبقاء على كرامة
الدولة الحليفة وتطلعا إلى المودة التي ينشدونها في المستقبل

ومن السهل على المؤرخ اثبات التدخل الايطالي بجميع صورته لأن
ايطاليا نفسها لم تنكر هذا التدخل ، بل أعلنته في مناسبات عدة
وتفاخرت به ، بينما من العسير أن تثبت رسميا تدخل الالمان .

واهل اسبانيا الحكومية يستنكرون أشد النكر نزول جيوش
أجنبية بكامل عدتها وسلاحها في الأرض الاسبانية وهم لذلك يدافعون
دفاع المصميت بالرغم من تفوق جيش الثوار في العدد والعدد ، لأنهم
يرون في هذه الغزوة الأجنبية امتهاً لكرامة الوطن ، ولا يقل أهل
أسبانيا الخاضعة للثوار استنكاراً لهذا التدخل شعباً وجنوداً وضباطاً
فالكامل يلحون الخطر الدائم على الوحدة القومية وعلى استقلال البلاد
من جراء طول الحرب ومكت الأجانب في أرض الوطن : فلم يكن أحد
يعتقد أن الحرب ستطول الى هذا الحد . ولا يفتأ فرانكو ومن
ورائه محتشرون الأجانب يبتشون الدمايات الجريئة وينشرونها في كل وقت
وفي كل مكان ، وكلها تدور حول ضرورة الاعتماد على الأجانب باعتبار
ان هذا الاعتماد هو الوسيلة الوحيدة للانتصار على الجيوش الفرنسية
والروسية . ومنعروض لمدى تدخل الفرنسيين والروسيين في مساعدتهم
للحكومة الشرعية في مدريد بعد قليل

أما جيش حكومة الثوار فانه لا ينظر بعين المودة والتعاطف الى
وجود الحملة العسكرية الأجنبية فقد كان الضباط الأسبانيون يرغبون
في مساعدة إيطاليا والمانيا لاعلى الطريقة الحالية . بل بأسلوب آخر كانوا

يودون لو أن الدولتين أمدتهم بالمدافع والطياوات والسيارات وجميع
هذه المعدات الحربية ، ولا بأس أيضا من ارسال بعض الجنود على أن
يكونوا تحت امرة الضباط الاسبانيين . ولسكنهم مع الأسف يرون
أن وطنهم قد غمره الضباط والجنرالات والقوادمن الايطاليين والألمان
يتناولون المرتبات العالية التي لا يتناولها نفس اضرابهم من الاسبانيين
فرجال الجيش الاسبانيين يحسون بتحقيق شديد وخيبة عميقة بازاء
هذه الغزوة الأجنبية

والى جانب ذلك فالنشرات العسكرية تصدر حاملة توقيع الضباط
الاجانب لانهم يحتلون مكان الصدارة ، فلم المركز الاول فى اصدار
الأوامر

هذه الحال بعنت كثيراً من الحقد والحمد فى صدور انضباط
الاسبان حتى اصبحوا يتمنون هزيمة حلفائهم فى ميادين القتال . وقد
حدث فعلا أن هزيمة الايطاليين فى موقعة وادى الحجاره اثارت شتى
الاحاديث التهمكية فى صفوف الاسبانيين حلفائهم

ثم ان هؤلاء الأجانب لا يحاولون اخفاء احتقارهم للاسبانيين بل
على العكس لا يتورعون من اظهار هذا الاحتقار

هرب أحد المهندسين الاسبانيين من مدريد وحصل على وظيفة إدارية في مدينة برجوس ، ولم يطل به المقام حتى رأى أحد أصدقائه في انشغال كبير ، فقد احتل غرفته في الفندق الذى فيه ضابطان المانيان دون أى استئذان ، ووجد حاجاته ملقاة خارج الغرفة . واصحاب الفنادق عندهم أوامر من القيادة العليا تقضى بوضع احسن الحجرات تحت تصرف الاجانب بينما الاسبانيون نصيبهم الحجرات المنزوية وفهم الاسبانيون أنه من الحق الاحتجاج على مثل هذه التصرفات فكانوا يمثلون للأمر الواقع ويضبطون عواظهم حتى لا يحدث ما لا محمد عقباه على غير طائل

وأكثر من هذا امعاناً في امتهان الوطنية الاسبانية أن العلم النازى مرفوع فوق فندق ماريا ايزابلا وهو أكبر الفنادق في برجوس ، لأن هيئة الطيران الحربية الألمانية اتخذت من هذا الفندق مركزاً لها ، أما سكان الفندق الذين كانوا يعيشون فيه حتى ذلك الوقت فقد ارموا على اخلاء اماكنهم والبحث عن امكنة أخرى للسكنى . وقد سمح الألمان لقليل منهم ان يتناولوا وجبات الطعام في الفندق على شرط أن يبرحوا الدار مباشرة ، وليس لهم الحق في الجلوس داخل الصالون أو في الردهات الداخلية

ومن لطائف الروايات التي يرويها صاحب كتاب أصدره أنتونيو فيلابلانا رئيس كتاب محكمة بورجوس وطاش فيها ردحاً من الزمن وهي تحت حكم الثوار أن رئيس المحكمة وهو من الشخصيات البارزة في المدينة جلس يوماً هو وزوجته في صالون الفندق فتقدم اليهما رجل الشرطة وطلب منهما مبارحة المكان حسب الاوامر الملقاة اليه من الالمان . فأبدت الزوجة ملاحظتها على بعض الاسبانيين ومنهم ابنة عظيم من العظاماء ؛ يجلسون في الصالون فلماذا التفريق في المعاملة فأجاب الرجل بأن هؤلاء يجلسون برضا الالمان الذين يقولون إن الحرب والحب متفقان فلا فرق بينهما لغة إلا حرف الراء . وبناء على ذلك تقام حفلات الرقص كل ليلة داخل الفندق يحضرها هؤلاء للفتيات وغيرهن ممن يسمح لهن الالمان بذلك الحضور

ولم تكن معاملة الضباط الاسبانيين بأحسن حالا من معاملة الاشخاص المدنيين . وهذه القصة تبين مقدار التحقير الذي يصيب الاسبانيين العسكريين من زملائهم الاجانب . سافر ضابطان اسبانيان في القطار الذاهب إلى جهة القتال ، ووجدوا المحلات كلها مشغولة بالركاب حتى إن كثيراً من المسافرين ظلوا وقوفاً ؛ وذرع الضابطان القطار

من أوله الى آخره للبحث عن مكان يجلسان فيه ، وأخيراً وجداصالوناً
يجمع ستة اشخاص ، يجلس فيه ضابطان إيطاليان فقط ، فدىق أحد
الضابطين الباب ، وأخذ التحية على الطريقة الفاشسية واستأذن فى
الدخول فما كان من الايطاليين إلا ان ركلا الباب فى وجهه حتى كاد
يؤذيه . وأدرك صاحبانا أن وجودهما غير مرغوب فيه فانسحبوا بسلام
إلى مركبات الدرجة الثالثة .

أما موقف الشعب من الاجانب فهو أسوأ حالا .

يتناول الجنود الايطاليون والالمانيون مرتبات تزيد اضعافاً
مضاعفة على مايتناوله الجند الاسبان ، وهذه الوفرة المالية فى أيديهم
تيسر لهم حسن المعيشة بالاضافة الى الاسبانيين ، إلى جانب الامتيازات
الحاصلين عليها . فلهم أن يراقصوا من يشاؤون من النساء ؛ وحرمت
بعد ذلك النساء الاسبانيات على الاسبانيين . ومع ذلك فهذه الطبقات
الفقيرة تحتفظ بكرامتها أكثر مما تفعل نساء الطبقات الراقية . فقد
حدث أن خرج النساء جميعاً من إحدى المراقص احتجاجاً على دخول
الجند الاجانب مجاناً إلى المرقص ، بينما الجند الاسبانيين يجب أن
يدفعوا أجر الدخول .

وفى أماكن اللهو نمجد بطاقات كبيرة كتبت بالخط العريض ، يطلب فيها إلى النساء أن يحسنوا معاملة الضباط والجند والاجانب، وأن يلاطقوهم وان يجيبوهم الى جميع طلباتهم؛ لأنهم الاخوان الذين وفدوا الى أرض الوطن لمكافحة الشيوعيين .

وعلى الاسبانيات أن يختاروا بين الشيوعية المزعومة أو الاعراض المسلوقة .

وهل يملكن حق الاختيار والحكم العسكري آخذ برقاب العباد .
بعد سقوط بلباو فى أيدى الثوار ، احتفل الجند بهذا الانتصار فى أحد المراقص العامة الذى ازدحم بكثير من النساء والفتيات والجنود الايطاليين والالمان والاسبانيين . وغنى الجند الاجانب أغنيات الفاشيست ثم طلبوا إلى الحاضرين أن يهتفوا « لتحيا ايطاليا ، لتحيا ألمانيا » وكان الواجب أو الذوق يقضى أن يهتفوا إلى جانب ذلك « لتحيا أسبانيا » ولكنهم بدل أن يهتفوا بهذا الهتاف صاحوا فى صوت طال « لتحيا الحماة الاسبانيات »

* * *

متى بدأ تدخل ايطاليا وألمانيا ؟

هذا السؤال من الاهمية بمكان ، لأن هناك فرقاً بين تدخل وتدخل
وفرق بين التدخل لغرض في النفس ، وتدخل لحفظ مصلحة الوطن والدفاع
عن اعتداء .

فقد ثبت أن محادثات وقعت في روما عام ١٩٣٤ بين موسوليني
وبين بعض الساسة من الذين لا يعضدون الانقلاب الجمهوري ، وأبدى
الدوتشي في أثناء هذه الاحاديث استعداداً لتعريض أى انقلاب مسلح
يذهب بريح الجمهورية ويعيد الملكية . وتدل الدلائل على أن الثورة
الآخيرة لم تكن تدايرها مجبولة من ألمانيا وإيطاليا

فقد شوهد الجنرال سانجوريو في برلين قبل ١٧ يولية ١٩٣٦ بقليل
والجنرال سانجوريو هو الذي اشعل نار ثورة في اغسطس ١٩٣٢ ولكنها
اخذت . وهو الذي كان من المفروض ان يصبح زعيم الثورة الحالية لولا
أن الطائرة التي استقلها من لشبونة ليصل إلى مواطن الثوار انمحطمت
وقتل على الاثر كما سبق أن ذكرنا . كما أن الجنرال فرانكو كان على صلة
بكثير من الرسل الالمان : وعلى اى الحالات فالمستندات الرسمية
التي تثبت التآمر بين هاتين الدولتين وبين فراكو لا تزال قيد الحفاء
ولا بد أن تظهر يوما من الايام

ومن الشواهد المؤكدة التي تثبت هذه الصلة أن إيطاليا أرسلت إلى الجنرال فرانكو في مراكش الاسبانية ست طائرات حربية قبل اشتعال الثورة بثلاثة ايام وقد انكشفت امر هذه الطائرات لان ثلاثاً منها تحطمت على أرض مراكش الفرنسية ، وبعث الحاكم القرضى العسكرية الجنرال فكتور دينان الى باريس بتقرير عن الحادث الى باريس اثبت فيه نوع هذه الطائرات ، و اضاف الى ذلك أن ضباطها تسلموا أمراً رسمياً في ١٥ يولية بالرحيل

كما أن طيارات المانية وإيطالية قامت بنقل الجنود المراكشين إلى أرض اسبانيا في النصف الثاني في شهر يولية بعد بدء الثورة مباشرة والموقف الان يتخلص كما يأتي لمن يريد أن يصدر حكماً تاريخياً على العمل الذي زجت إيطاليا والمانيا أنفسهما فيه . فماكاد فريق من الامة يخرجون على الحكومة الشرعية حتى بادرت دولتان اجنبيتان بمساعدة هذا الفريق بجميع الوسائل الممكنة . وهذه سابقة خطيرة . في عالم السياسة الدولية . وهذه هي سياسة الدول الفاشستية الان ، ثم يساعدون فريقاً من اهل الدولة التي يريدون التدخل في شئونها . يسفرون بعد حجاب ، ولا يهمهم شيء في سبيل تنفيذ أغراضهم . وهذا هو

ما يحدث الآن في المشكلة التشكولوفاكية ، فالمانيا تعين سرّاً وعلائية
الحزب الالماني في تشكولوفاكيا التابع لهتلان ، والخطّة المدبرة هي
ثورة هذا الحزب على الحكومه ، ثم تدخل ألمانيا لمساعدته . والظاهر
أن وقوف فرنسا وانجلترا في وجه ألمانيا ، جعلاهتلر يحذر الاقدام
على هذه الفعلة .

ولو أن ايطاليواالمانيا كانتا قاعدان أن مساعدهتهما المكشوفة لفريق
الثوار سينير الدول عليها جدياً ما أقدمتا عليه . ولكن الدول اخذت
على غرة

بينما كان الثوار يتلقون النخائر الحربية من طائرات الى مدافع
ومتراليوزات الى سيارات مصفحة ، كان الحكوميون في فقر شديد
من هذه الناحية . وهذا هو السر في سرعة تقدم الثوار وكانت خطة فرانكو
الطيرية تقضى بضرب المدن ولا بقنابل الطائرات حتى ينزل الرعب في قلوب
اهلها وتهدم الجهات الحصنة . ثم يقوم الجنود المراكشيون بهجوم
بعد ذلك على المدينة فلا تلبث أن تقع في ايديهم . ولم تكن المدن
تنتظر قدوم فرانكو وجيشه بل كانوا يفرون قبل مجيئه لعلهم ينقص

وسائل الدفاع لديهم . وبلغ من سوء حال الحكومة الجمهورية أنها
في أكتوبر لم يكن لديها الا طائرة واحدة منقاذات القنابل ، وإلى
جانب ذلك فإنها لا تصلح للعمل .

واجتمعت الدول وقررت أن تعمل شيئاً إزاء تدخل الدول الاجنبية
في السياسة الداخلية لاسبانيا ، وهو عمل غير مشروع من الناحية
الدولية . وعقدت لجنة عدم التدخل جلساتها في لندن شهراً بعد آخر
ووقعت ايطاليا والمانيا والبرتغال على وثيقة عدم التدخل ،
وعمقتها لا يجوز إرسال ذخائر إلى اسبانيا مطلقاً لمساعدة فريق
على فريق . ولكن هذه اللجنة كانت عديمة القيمة والنفع وقراراتها
غير محترمة فالدول القاشميتية كانت توقع قرارات اللجنة باليمين ، وتعبث
بما أخذت به نفسها من تعهدات بالشمال . فالعالم اجمع كان يعرف أن
هتلر وموسوليني يساعدان الثوار ، بينما ظلت انجلترا وفرنسا والدول
الآخرى تحتفظ بمجدية الحياد حفظاً للكلمة التي قطعوها على انفسهم
فرفضوا أن يمدوا يد للمساعدة إلى الحكومة الجمهورية وهي التي كانت
في أشد الحاجة الى الذخائر والاسلحة ، بينما القانون الدولي نفسه لا
يمنع الدول من مساعدة الحكومة المشروعة لأنها مشروعة

وكان غرض الدول من اصدار قرار عدم التدخل هو حصر الحرب

اهله الاسبانيه في دائرة ضيقة حتى لا تتسع نارها فتلتهم الدول
جميعا وتقع الحرب العامة التي يحاول الناس مفادتها بجميع الطرق
اجتناباً لمصائب الحرب .

فلما خرقت ايطاليا والمانيا حرمة الحباد وهتكنا ستر القرارات
وأصرا على الاسراف في مد التوار بالسلح . لم تصبر الدول على
هذا . وفي ١٧ أكتوبر أبلغ مندوب روسيا في لجنة عدم التدخل في
لندن أن دولته تخشى أن يؤدي العبث المتكرر باتفاق عدم التدخل
الى النظر اليه كأنه غير موجود ، وأن يكون الغرض من هذا الاتفاق
أن يتخذ ستاراً لما تقوم به بعض الدول من مساعدة التوار ، واعلنت
روسيا انه اذا لم يوضع حد لهذا العبث فانها ستضطر الى التحرر من
تعهداتها

وبالفعل ارسلت روسيا منذ آخر أكتوبر كثيرا من الطيارات
والسيارات المصفحة الى الجمهورية

وارتفع مستوى الحكوميين في القوة الجوية واستطاعوا
ابقاف هجمات فرانكو ، واستعاد الجنود ثقتهم بأنفسهم
كذلك أخذ المتطوعون يتدفقون الى صفوف الجمهوريين من
جميع الجهات ومن جميع الدول بدافهم من انفسهم وايمانهم بعقيدة

العطف على شعب مغلوب على أمره : وانخرط في سلك الحرب العامل
والصانع والمزارع والطالب في الجامعة والمدرس والمنقف ، وبهذه
المناسبة اذكر أن أحد المدرسين الانجليز في مدرسة اميرية بمصر
استقال من منصبه وذهب الى الميادين الاسبانية متطوعا . ولما كان
جيش الحكومة ينقصه التدريب ، فقد عزم المحاربون القديما ، وهم
المحاربون الذين حضروا الحرب العظمى ، على التطوع الى جانب
الجمهوريين ليتسنى لهم تدريب هؤلاء المتطوعين

ولنذكر هنا أن في صفوف الحكومة كثيراً من المتطوعين من
الايطاليين والالمانيين المعادين للفاشية والنازية واغلب الناس يعتقدون
أن الشعبين الايطالي والالمانى يهيمنان حياً بالذات ككتاتورية ؛ ولكن
الحقيقة غير ذلك ، فللكتاتورية أنصار ولها أعداء في نفس البلاد التي
تخضع لهذا النظام

قابلت في برلين في سنة الالعب الاولمبية شخصاً في أحد المقاهى
لا أعرفه ، وكان مهندساً ، فأسر الى كراهيته للنظام النازى لانه يمنح
حرية الرأي ؛ واطمأن هذا الشخص الى لاني اجنبي عن البلاد ولولا
ذلك لما جرؤ ان يفضي الى برأيه في صراحة وذلك لا تنتشر الجواسيس
ونعود الى الحرب الاسبانية فنقول ان هذا الخليط من الناس

اجتمعوا برابطة الوقوف أمام الفاشيستية، وانتقل مسرح هذا الحرب إلى مدريد وساد الجميع روح قوية للكفاح ؛ لأن انتصار الثوار هو في الحقيقة انتصار لموسوليني وهتلر والنظم الفاشيستية على العموم . وأصبحت اسبانيا مسرحا لحرب دولية بين دول ودول ونظام ونظام . والفرق بين الذين ساعدوا الثوار والذين ساعدوا الحكومة كبير . فإيطاليا والمانيا ساعدتهم مساعدة رسمية وبعثت إلى الأرض الاسبانية بحشود مدربة مجهزة . أما الذين ساعدوا الحكومة فأغلبهم متطوعون ذهبوا بدافع من العقيدة ؛ ولهذا السبب فإنه بالرغم من تفوق جيش الثوار في العدد والسلاح ، فإنهم لم يستطيعوا أن يتقدموا بنسبة هذا التفوق

ولما قوى ساعد الحكوميين بمن انضم اليهم من المتطوعين ، وقفوا لأول مرة في وجه الثوار وصدوا سيل هجومهم وأغلقت مدريد أبوابها دون المعتدين . ولأول مرة منذ بدء الحرب الأهلية ولي الثوار الأدبار

ومن العمير معرفة عدد الجنود الاجنية لدى كلا الفريقين ، ولكننا سنذكر على وجه التقريب الارقام التي وقعت تحت أيدينا في الكتب التي نرجع إليها .

صرح فون روبنروب سفير المانيا في لندن أن الفرقة الأجنبية في جيش الجمهوريين تبلغ ... ٦٥ جندي . هذا العدد مبالغ فيه لاطهار المساعدات التي يتلقاها فريق الحكومة على وجه المبالغة فينتسئ لالمانيا أن تقوم على الاقل بمثل هذه المساعدة للشوار . أما انصار الجمهوريين فيقولون إن عدد المتطوعين بلغ ٢٣ ٠٠٠ من الاجانب حتى أول يوليه ١٩٣٧ . وقد مات كثير منهم في ميادين انقتال ، ولكن الفضل في انقاذ مدريد يرجع اليهم دون شك .

وقد غير حصار مدريد ثم ثبات العاصمة في وجه الثوار وجه الحرب الى حد كبير . وبعد شهرين من بدء الحصار تبين لفرانكو أنه من العسير بل من المستحيل اقتحام المدينة مستنداً الى القوات المحدودة التي تحارب الى جانبه ، ولو أن الذخائر الحربية الموجودة تحت يده كانت أكثر من الكفاية

يضاف الى ذلك أن أغلب الاسبانيين رفضوا أن يحاربوا في صفوف فرانكو ، واذا سيقوا الى الحرب ، فانهم يحاربون رغم أنوفهم من غير روح دافعة . ولا فائدة من الاعتماد عليهم في كسب الحرب ثم انه من يوليه ١٩٣٦ الى ديسمبر من نفس العام فقد فرانكو كثيراً من رجاله على الأخص من المراكشين ، فاذا لم يلجأ الى وسيلة

جديدة يسيطر بها على الموقف ويملك زمام الامر فان الدوائر استدور عليه .

والسبيل الوحيد هو أن يعود الى اصدقائه الاقدمين يطلب معونتهم وهم ايطاليا وألمانيا . واذا كان حقا أن الطيارين والمهندسين وسائقي الدبابات هم من الايطاليين والالمان ، فان هاتين الدولتين لم تبعنا حتى ذلك الوقت بفيالق من الجند .

وحينئذ ارسلت ايطاليا وارسلت ألمانيا جنودهما الى الارض الاسبانية واذا كان من العسير الاتفاق على الرقم الذي ساعد الجمهوريين ، فكذلك من العسير الاتفاق على عدد الجيوش الاجنبية في صفوف الثوار . ويقال إن ألمانيا ارسلت ١٠ ٠٠٠ جندي الماني ، وان ايطاليا بعثت ما يتراوح بين ٥٠ ٠٠٠ ، ٩٠ ٠٠٠ وساهمت للبرتغال ايضا بنصيب قليل .

واذا كان أحد في شك من مساعدة ايطاليا الرسمية للثوار فليقرأ ما كتبه موسوليني نفسه في جريدة « بوبولودي ايتاليا » في ٢٦ يونية ١٩٣٧ حيث ذكر أن النزاع الهائل الدائر في أسبانيا ، الذي يجمع صنفين من الحضارة وجها لوجه ، لم تكن ايطاليا الفاشيستيه واقفة فيه على الحياد ، بل نزلت إلى ميدان الحرب ؛ وسيكون النصر حليفها »

ثمن المساعدات

ليس شك في أن الحرب الأهلية الأسبانية خرجت من دائرتها الضيقة وأصبحت ميداناً دولياً

وبعد أن كانت الدول تقوم بالمساعدات المختلفة في طي الخفاء لم يعد يهمها أن تعلن ما تقدمه من معونة على الملأ

ولكل من الدول المشتركة في هذا النزاع مصلحة قريبة أو بعيدة سنحاول أن نكشف عنها الغطاء .

فاسبانيا غنية بمعادنها ، وقد وعد فرانكو إيطاليا وألمانيا أن يعطيهما احتكار مناجم الحديد في بلباو ، وحقول الزئبق والمعدن Almaden بالقرب من جيداد ريال ، ومناجم النحاس في ريونتو وغيرها

ومن البديهي أنه في حالة فوز الثوار ، فلا بد من سداد الديون التي حصلوا عليها في صورة الدخائر الحربية ولن يتيسر هذا السداد إلا بالتنازل عن حق استثمار النواحي الاقتصادية إلى الدول التي ساعدتها

وقد صرح هنلر نفسه قائلاً : إن فرانكو ينبغي أن ينتصر لاننا
في حاجة الى مناجم بلباو

كذلك ايطاليا في حاجة الى بسط نفوذها الحربى فى البحر المتوسط
التي تعتقد أنه ينبغي أن يكون بحيرة ايطالية ، لابد لها من قواعد
حربية ، وجزر البليار عظيمة القيمة كبيرة النفع من الناحية العسكرية
لها . ويقال إن فرانكو قد تنازل لها عن هذه الجزر

أما المانيا فأنها تطعم فى جزر كناريا على الاقل لتجعل منها
قاعدة بحرية ، ولتكون قريبة من مراكش الاسبانية التي تفكر ألمانيا
فى الاستيلاء عليها منذ أيام الامبراطور غليوم

كل هذا لا يعد شيئاً مذكوراً الى جانب مركز اسبانيا الجغرافى
بالنسبة لأيطاليا . فالدولة الصديقة فى غرب البحر الابيض توجه الحرب
العالمية المستقبلية وجهة فى صالح ايطاليا . ذلك أن ايطاليا بعد فتح
الحبشة أصبحت تعتبر المنافس الخطر على الامبراطورية البريطانية ،
فاذا وضعت ايطاليا أصبعها فى اسبانيا ضمنت بذلك السيطرة على غرب
البحر الأبيض

وفى صالح ايطاليا وألمانيا أن تنتصر الدكتاتورية وهى النظرية

التي يعتقدها . وما ظفر فرانكو الا انتصار لموسوليني وهتلر ؟ ولو
أن الحرب في ظاهرها حرب أهلية .

نعم هو انتصار لموسوليني وهتلر . وتفسير الامر أن الفاشسية
تدين بنظرية الاغتصاب والقوة لا بدين الحق . وقد اتفقت كلمة
الدكتاتوريين على تنفيذ هذا المبدأ في كل مكان . وما الحرب الاهلية
الاسبانية الا سلسلة من حلقة كبيرة دبر زعماء الفاشيست أمرها .

ففي ١٩٣١ انقض الياپانيون ، ولا تنس أن بهم يتم ثالث
الدكتاتورية ايطالية وألمانيا واليابان ، على منشوريا ، فدخلوها بسهولة
ولم تجد احتجاجات الدول : أو استنكار عصبة الأمم ، وتم لليابان ما
أرادوا . ضعضوا العالم أجمع أمام الامر الواقع

وشجع هذا العمل من اليابانيين موسوليني فانقض بدوره على
الحبشة والتهمها منتهاك حرمة القوانين الدولية وظهرت عصبة الأمم
بمظهر السخرية

وسار هتلر على تنفيذ هذا المبدأ فخرق حرمة المعاهدات الدولية
وسلح منطقة الرين المجاورة لفرنسا في مارس ١٩٣٦ . ودخل النمسا
في هذا المام ، وها هو يستعد لاقطاع جزء من تشكسلافيا إن لم

تقف الدول في وجهه جدياً

فلما وجد هتلر وموسوليني ضعف انجلترا وفرنسا وسكوتها على أعمالهما أقدما على النزول في الارض الاسبانية وقلبيهما مطمئن .
وننتقل الآن الى انجلترا وفرنسا لئرى السرى موقفهما السابى .
أما انجلترا فسياستها التقليدية هى سياسة التأتى والتثبت دون الاندفاع والتسرع . والواقع أن نوايا ايطاليا والمانيا لم تنكشف لها تماماً إلا آخر الأمر . ثم هى لا تريد أن تزج بنفسها فى حرب الغالب خيما كالمغلوب . كما أنها لم تستكمل استعدادها الحربى حتى الآن لانها لم تبدأ تستيقظ من سبات الضعف والاستكانة إلا بعد الحرب الحبشية .

ومع ذلك فخطر الايطاليين فى اسبانيا لم يكن مجهولاً فقد عقدت المانستر جارديان فى ١٥ ابريل ١٩٣٧ فصلا قالت فيه : « من الصعب علينا أن نفهم حماس بعض الانجليز لانتصار فراكوا ، لأن اسبانيا الحربية الخليفة للفاشيست تعطل جبل طارق ، بل تهدد أيضاً الطريق الى رأس الرجاء الصالح اذا اتخذت جزر كناريا قاعدة جوية ، ويزيد هذا الخطر اذا أصبحت جزر البليار معقلاً للغواصات وقاعدة للطائرات ولكن الساسة الانجليز كانوا منقسمين على انفسهم فى حيرة من

أمرهم بين الدفاع عن مصالح الامبراطورية من جراء توسع نفوذ إيطاليا
والمانيا في اسبانيا وبين مساعدة الجمهوريين الذين تصدهم انجلترا
شيوعيين أو تمهيداً لشيوعية . وهكذا ترددت انجلترا بين الفاشستيه
المؤكدة والشيوعية المزعومة .

أما فرنسا فمصلحتها أعظم من مصلحة انجلترا ؛ لان اسبانيا تقم
الى جوارها مباشرة لا يفصلها الا جبال البرانس ، فاذا سيطرت ألمانيا
على الحكومة الاسبانية فقد وقعت فرنسا في فخ لا تستطيع الخلاص
منه حيث المانيا تهددها من الشرق ومن الجذب أيضا . واذا أضفت الى
ذلك تحول إيطاليا الى جانب المانيا ، فانها تستطيع أن تقطع صلة
فرنسا بمستعمراتها في افريقيا ودمع إيطاليا في تونس والجزائر الفرنسيين
مشهور .

أمام كل هذه الاعتبارات كان الواجب ان تتحرك فرنسا لتدفع
الاذى قبل وقوعه ، ولكنها تلكأت ، وقبضت يدها عن مساعدة
الحكومة الشرعية لا سباب مالية . وقد اضطرت اخيراً الى المساعدة
ولكن بعد قوات الوقت وفرنسا معذورة في عدم اقدامها على مساعدة
الاسبانيين وحدها من غير ان تضمن وجود الانجليز الى جوارها ولم
تتنق نظرة فرنسا ونظرة انجلترا الى الحرب الاميبانية .

ورأى الانجليز بطبيعتهم غير مستقر فهم يجرون وراء الرياح وينتهزون الفرصة . ففي بدء الحرب حينما كان فرانكو منتصراً على طول الخط كان الانجليز أو على الاصح الرأي العام الانجليزى الى جانبه ، فلما وقفت مدريد وقفنها المجيدة التاريخية تحول العطف الى جانب الحكومة .

لو أن سياسة انجلترا وفرنسا كانت معادية صراحة للفاشستية لاتخذتا خطة واحدة يتبعانها ، ولكنها مع الاسف لالون لها وهذا هو السر في ترددهما وسيرهما على سياسة غير ثابتة .

مراكش والحرب الاسبانية

اهل مراكش أدرى منا بحالة بلادهم ، ونحن لهذا قد وضعنا في هذا الكتاب بعض مقالات كتبها مغاربة عن المغرب الأقصى دون أن نتقيد بما جاء فيها .

ولكننا نكتب هذا الكتاب في مصر ، ومراكش تهمننا كدولة شرقية وكدولة إسلامية .

والسؤال الذي نضعه أمام الابصار هو ما يأتي :-

ما الفائدة التي عادت على مراكش من مساعدتهم للشوار ؟

وسؤال آخر

ألم يكن الأفضل إن ينتهز المراكشيون هذه الفرصة فيستقلون

ببلادهم ؟

ونحن نرجو أن يفكر إخواننا أهل المغرب في قضيتهم الوطنية

قبل أن يفكروا في قضية غيرهم .

والى القراء هذه المقلات كما جاءت في جريدة البلاغ

، ومنبداً بالمقالة الثانية التى نشرت بتاريخ ١٥ اغسطس ١٩٣٨ ، لان

فيها تلخيصا لما جاء فى المقالة الاولى .

حكومة الجنرال فرانكو

تجند مائة وخمسة وثلاثين الف مغربى

وتقذف بهم الى نيران الحرب

لسنا نبالغ اية مبالغة إذا قلنا ان عدد المغاربة الذين التقوا فى جحيم

الحرب الاسبانية يزيد عن الاربعة عشرة فى المائة من عدد سكان هذه

البلاد ، وانا نسوق هنا احصاء دقيقا عن عدد السكان فى الريف

وعدد المجندين منهم

يتجاوز عدد سكان منطقة الريف المليون نسمة حسب الاحصاء

الاخير سنة ١٩٣٤ وهذا العدد لا يمكن بأى حال من الاحوال ان

يخرج من الرجال الصالحين للحرب أكثر من ١٧٥ الف نفس ، لكن

للقيادة العامة لجيوش الجنرال فرانكو اصدرت بيانا فى يناير ١٩٣٧

أى بعد ابتداء الحرب بستة أشهر ، حددت فيه عدد الجنود المغاربة في الجهات الحربية المختلفة بـ (٥١٠٠٠) جندي ، ثم زادت ضغطها على جيوش الوطنيين فاضطروا الى أخذ طابور كامل من الحرس الخليفي حرس خليفة صاحب الجلالة سلطان المغرب الذي يتألف من ألف جندي وضابط كلهم مغارة وكان هؤلاء يعدون النواة الاولى لجيش المغرب في المستقبل .

وما زال الاسبانيون يسوقون الآلاف من المغاربة إلى الهلاك ويتبين من الاحصاء الرسمي في يناير ١٩٣٨ ان المغاربة المجندين الذين أخذوا للحرب حتى ذلك التاريخ بلغ ١٣٥٠٠٠ جندي وهذه ارقام حقيقية ومأخوذة من احصاء الاسبانيين انفسهم وليست من تقرير غيرهم على انهم مع هذا يحاولون نقص العدد لكي لا يدخل الرعب في قلوب العالم من وراء هذه القاجعة . ولكن حتى هذا الاحصاء الذي اباحوا اذاعته مرعب حقا . فهو يعنى أن بلاد الريف أصبحت قفراً من الرجال الاقوياء العاملين وحُرمت حتى من الاطفال الذين لا يتجاوزون الخامسة عشر

وانه لمن الاجرام أن تعمد امة في سبيل مصلحة شخص كالجنرال

فرانكو ، ولكن هل ينتقم المغرب من وراء التضحية الغالية
كلا والف كلا ، فلن ينال المغرب حقاً من الحقوق التي يطالب بها
وقد تحدث كثير من الناس عن هذا التجنيد ، وقالوا إن المغاربة
يساعدون أسبانيا لأنها وعدتهم بالاستقلال ولأنها أعطتهم حقوقاً
واسعة وحريات كاملة ولكن البحث الدقيق والاتصال ببعض المصادر
المسؤولة يحدد لنا أسباب التجنيد في ثلاثة أمور هي

١ — الدعاية التي يقوم بها عمال فرانكو وصنائعه من العلماء باسم
الدين وفيها يدعون الناس إلى الحرب والجهاد في سبيل الله . . نعم في
سبيل الله هكذا يقول المأجورون المستهترون بأرواح أخوانهم
في نظير الدريهمات التي يقبضونها

٢ — والسبب الثاني أن فرانكو جاء المغرب فحرم العامل من
عمله وعطل التجارة والصناعة وضايق المزارع بالضرائب الكثيرة
وبتخفيض أسعار منتجاته فأفقرهم جميعاً وجعلهم يقاسون آلام الجوع
والبؤس والفاقة ، ومن ثم دعاهم إلى التجنيد ليأثروا أجوراً تعد حاجة
خبرهم وتتقدم من الموت على قارعة الطريق ... وهذه الوسائل إن
حلت على شيء فأنما تدل على سوء النية والخبث والمكر ، ثم هي أن

مثلت شيئاً فأنما تمثل الظلم والاعتصاب بأجل المعاني

٣ — والسبب الثالث هو الذي يلجأ اليه الاسبانيون حينما تعييبهم

الحيل وطرق المكر والخداع . وهذا السبب هو إجبار المغاربة على

ترك أعمالهم وتجارتهم وعائلاتهم وابنائهم والذهاب إلى حيث لا يعودون

بل إلى حيث يلاقون حتفهم بين انقنابل المحرقة .

والآن فلننظر إلى ما آلت إليه حالة الريف بعد أن مرت سنتان على

هذه الحرب الدروس ، بل على هذه المجزرة البشرية الخنيعة

لم يعد إلى المغرب من المائة والخمسة والثلاثين ألفاً غير أعمى فقد بصره

واكتع فقد رجليه واضراب هذين العاجزين ممن لم يعودوا صالحين

للقيام بعمل ما في هذه الحياة

آلاف من الرجال الأقوياء أصبحوا عالة على زوجاتهم وأطفالهم

الصغار .. وعشرات الآلاف من النساء فقدن أزواجهن ؛ ولا يعرف

مصيرهن إلا الله وكثير منهن يتن جوعاً على رصيف الشارع أو على

باب المستشفى

ولقد لحق الأسرة المغربية من جراء كل هذا وغيره الاعلال

والانحطاط ، فلم يعد يمكن تصوير الحال ، ونزلت بالمغرب خمار قادمة

وأدبية لن تمتطع أجيال طوية تمويضا

لقد عطل الحُرث وتوقفت الاعمال ، والتجارات ، ومات الرجال
الاشداء ، ومع ذلك نجد فرانكو غير عابىء بحقوق المغرب ولا بمطالبه
ولا ناظر إلى ما تحتاجه البلاد من الإصلاح الاجتماعى والسياسى
والاقتصادى

وقد أنشأت الحكومة الأسبانية فى المغرب - نعم فى نفس
المغرب - ملاجئ للجرحى الحرب والمنكوبين الاسبانين فقط وهى
تجيب لهذه الملاجئ الاموال من المغاربة رغما عن انوفهم . بينما يوجد
من المغرب الآف من الجرحى والمنكوبين فى الحرب يستجدون الايدى
ويطلبون الصدقات ليقفوا .

هذه لمحة من اعمال الاسبانين فى شمال الغرب الاقصى ننشرها
لتبين حقيقة الحال التى عليها المغاربة فتبطل الدعاية التى ينشرها
مأجورو الجنرال فرانكو واعوانه

ان (مطالب الشعب المغربى) التى قدمها حزب الإصلاح الوطنى
كانت غاية فى العدل والاعتدال ، بل ان هذه المطالب اقل ما يمكن
لفرانكو أن يرضى به المغاربة الساخطين على سياسته الحاضرة

وقد قيل إن بعض الموظفين الاسبانيين يحولون دون تحقيق هذه المطالب .

والحقيقة غير ذلك فإن فرانكو هو العقبة دون تنفيذها ولو اراد أن ينفذ هذه المطالب في ساعة واحدة لأصدر أوامره بذلك ولن يمرقل تنفيذها رضاء أو سخط الموظفين أو غيرهم ولكنه يخدع المغاربة ويمنيهم بالاماني الوطنية دون أن يفكر في مصافاتهم ولا في ارضائهم

« مغربي مهاجر »

موقف المغاربة

من الجنرال فرانكو

تلقينا الكلمة الآتية ردا على مقال مغربي في القايره نشرناه قبل ثلاث ايام .

نشر البلاغ قبل ثلاثة ايام مقالا (بامضاء مغربي في القايرة) تحت عنوان (موقف المغاربة من الجنرال فرانكو) ونحن يسرنا أن يكتب عن المغرب كثيرا وان توضح قضيته توضيحا كافيا لما احوج المغرب الى دعاية واسعة النطاق وما احوجه الى مغربي في القايره

وفي الشام ليبين حقيقته كما هي :

لقد بدأ صاحب المقال كلامه باللمحة عن نهضة الريف ثم أشار الى قيام الثورة باسبانيا ووصف وطني الريف بالاستسلام لوعود الجنرال فرانكو وحكومته ، والواقع أن وطني الريف لم يتركوا فرصة للدفاع عن قضية المغرب ؛ حتى اضطرت الحكومة الاسبانية للسماح بانشاء حزبين سياسيين أخذوا يعملان لا نهاض تلك البلاد

وكل متتبع لنهضة بلاد الريف يرى الخطوة التي خطاها بمجهود هذين الحزبين في ظرف سنة واحدة فقد وجد في الريف هذان الحزبان اللذان تحسب لهما الدوائر الرسمية الف حساب وقام على رأسها رجلان من خير رجال المغرب وطنية وثقافة وعملا ، وهما دائما الحركة والعمل في سبيل انهاض البلاد من كبوتها

وقد تقدم الحزبان بمطالب الشعب المغربي للملطين المغربية والاسبانية فاخذتا في دراستها

أما قول صاحب المقال عن استسلام جرائد حزب الاصلاح الوطني فلمست ادرى ماذا يطلب السكاتب من وطني الريف ومن جرائدهم ، لعله يقصد بكلمة الاستسلام « التعاون ما بين الحامي والحمي » فاذا

جرى هذا التعاون ورأى الجانب الآخر أن الخير كل الخير في التعاون
وصف الكاتب وكل من يشايعه في الرأي أن هذا التعاون هو الاستسلام
والانقياد .

وبعد هذه الكلمة التي دعتنا إلى كتابتها الرغبة في إيضاح الحقيقة
نريد أن نقول لأخواننا المغاربة أن المغرب في حاجة إلى مقالات
نافعة تعطى صورة عن المغرب الذي أصبح اسمه مجهولا يتهدد الديار
ونذكر اخواننا الشرقيين بواجبهم نحوه فالميدان متسع لكتابة
المقالات

واخيرا إلى العمل الجدى أيها الاخوان المغاربة والى العمل الصالح
والله معنا ما دمنا خالصى النية لله والوطن
« مراكشى فى القاهرة »

الوطنيون المغاربة

بين وعود الجنرال فرانكو بتحريرهم

على أى أساس قامت دعوة المغاربة للتعاون معه

اليوم كتب الينا (مراكشى فى مصر) يقول ان الذين ينتقدون
بعض زعماء المنطقة الخليجية فى دعوتهم مواطنيهم الى التعاون مع الجنرال

فرانكو والمقاتله في جيشه لا ينظرون الى المسأله المغربيه بعين المغربى المقيم فى بلاده ولا يحسون باحساسه فهذا المغربى قد أعوزته الحيله مع المستعمرين حتى لم يجد امامه سبيلا لاسترداد شئ من حقوقه ، فاذا يعمل وقد وجد امامه طاغية كالجنرال فرانكو يعده بالمان والحلوى اذا هو انضاف له وقاتل الى جانبه ؟ ماذا يعمل غير ان يستسلم ويظهر شيئا من الاستسلام لعله يبلغ به قدراً من آماله وأمانيه ؟

قد يكون الجنرال فرانكو مخادعاً شأنه فى ذلك شأن كل مستعمر ، كما قد يكون سياسياً يجد من الحكمة وبعد النظر فى السياسة ان يضافى المغاربة ويكسب ودهم وصادقتهم

والامر فى الناحيتين يقوم على (النية) وهذه (النية) مجهولة طبعاً من زعماء المغاربة المتهمين اليوم بالاستسلام لفرانكو استسلاماً ادى الى التفرير بأن خمسين الف من مواطنيهم خدعوا فى وعوده وقبلوا ان يتجندوا فى جيشه ليقاتلوا خصومه

وليس يستطيع أحد يحكم على (النية) غير الله ولهذا يكون من الاسراف ومن الغلو ، أو من الظلم ان يتهم أحد المستسلمين من الزعماء لوعود الجنرال فرانكو بخيانتهم قضية بلادهم ، وهذا فيما اذا أسأنا

النية بهم ، ان يتهمهم بقصر النظر وعدم الحيلة واذا رجعنا إلى ماضيهم
المجيد وتضحياتهم الوطنية السابقة

هذه كلمة وجيزة لم ارد ان ادافع بها عن الزعماء الذين وثقوا
من الجنرال فرانكو وعوده وقبلوا التعاون معه ودعوة مواطنيهم
إلى هذا التعاون ، ولكنى اردت ان اضح الامر في نصابها وارجو ان
تلتهم بكلمتي كل مساجلة تدور في هذا الصدد ! لأن المغرب الاقصى
في حاجة إلى من يدافع عن قضيته العامة ، وليس فيما يكتبه البعض -
كما نعتقد - نقداً لسياسة الجنرال فرانكو في المنطقة الخليفية ضرراً
للقضية المغربية ، بل هو في جانبها قوة فاذا كان الجنرال فرانكو
صادق الوعد للمغاربة فليتعجل تنفيذه اقيم الدليل على أنه صادق
الرغبة في التعاون مع المغاربة على اساس رد حقوقهم الوطنية اليهم

هذا ما ارسله الينا « مراكشي في مصر » وقد نشرناه تقريراً للحقيقة
التي أراد حضرته بيانها ، ويهمننا ان يعرف اخواننا المغاربة وغيرهم
من ابناء البلاد الاسلامية والعربية الشقيقة اننا نعتبر قضايا بلادهم
السياسية كقضايانا الوطنية في مصر تماماً تجب لها التضحية ، أينما وجبت

وأينما كانت وانتساحين تفسح صفحات البلاغ للدفاع عن هذه القضايا
لا تنتظر الى أكثر من المصلحة الوطنية ، والبلاغ الى جانب ذلك منبر حر
لاقلام الوطنيين من المهاجرين الى مصر أو المرابطين في بلادهم ، فإن يكن
بعض اصحاب هذه الأقسام قد نظر نظرة تطرف الى سياسة فريق من
الزعماء في المنطقة الخليفية فليس مما يسيء هؤلاء الزعماء كما نعتقد أن
تمتشرى المبادئ المشروعة المتطرفة ، لان انتشار هذه المبادئ
والافكار من اقوى العوامل التي يمكن ان يعتمد عليها المخلصون لتحقيق
غايتهم الوطنية . وقد اخطأ بعض زعماء البلاد الاسلامية والعربية
المستعبدة للاجانب في محاربة اصحاب المبادئ المتطرفة من مواطنيهم
بدعوى ان المتطرفين ينالون من أعمالهم ويسئون اليهم ، ولكن كان
من نتائج محاربتهم هؤلاء المتطرفين ان فقدوا هم الزعماء كل قوة يمكن
ارهاب المستعمرين بها ونحن نرجو ان لا يقع اخواننا المغاربة في مثل
هذا الخطأ ، ولا سيما الشبان منهم ، الى النقد الحر ، مهما يكن شديداً
وقاسياً ، ومهما يكن فيه من الاتهام ، وليعلموا على استغلال هذا النقد
في مطالبة المستعمرين بالمزيد من الحقوق المغتصبة ارضاء للمتطرفين
أو دفاعاً عن انفسهم . ونود مع هذا ان نقصر جهاد المغاربة لتخصيم

بلادهم على مناهضة الاستعمار ، ان لا يتنازعا في فشلوا وتذهب ربحهم
قبل ان يحققوا لوطنهم استقلاله الصحيح .

رغبة الجنرال فرانكو

في تسخير جميع القوى المغربية لتحقيق مطامعه

منذ نشبت الثورة الاسبانية ونحن نوالى النشر في جريدة البلاغ
الذراء لافتين نظراخواننا المجاهدين في المنطقة الخليفية الواقعة تحت
حماية اسبانيا او الى يجب اتخاذه من الحيطة والحذر تجاه القاعنين على
سياسة المغرب من طرف الجنرال فرانكو ، وقد طالبناهم أكثر من
مرة أن يسعوا سعيا متوصلا للحصول على معاهدة شبيهة بالمعاهدة
الانجليزية المصرية أو الفرنسية السورية تمكن المغرب من إدارة شؤونه
بنفسه وتعيد اليه ما سابه معاهدة الحماية من حقوق

وقد مضت سنتان ونيفا على قيام الثورة الاسبانية وتصريح الجنرال
فرانكو الذى يقول فيه إنه مستعد لعقد معاهدة مع المغرب الأقصى
في مقابل تأييد المغاربة له في الحرب القائمة بينه وبين الجمهوريين
ومع ذلك لازلنا نرى الحالة في المنطقة الخليفية على ما كانت عليه

من قبل بالرغم من عشرات الالوف الذين قذف بهم الجنرال
 غرافكو في جحيم الحرب الاسبانية ، واستيلائه على جميع مقدرات
 البلاد حتى أصبحت هذه المنطقة الشقية التي اذاقها لاستعمار الاسباني
 ضروباً من العذاب من عهد الحرب الريفية الخالدة في حصار
 كل هذا من أجل قضية لا علاقة لها بالمغرب ولا رابطة تربطها بها
 ولكنها مطاعم الدكتاتورية الجامحة التي لا تنى عن العبث بمقول
 الناس وقواهم بألوان من الخداع المفقوت والاغراء الزائفة
 دفعنا إلى أن نعيد ما كررناه من قبل مقال نشر في جريدة البلاغ
 الغراء يوم ٢٧ اغسطس ١٩٣٨ بقلم (مهاجر مراكشي) دافس فيه عن
 سياسة القواد الاسبانيين في المغرب والموالين لهم من المغاربة ، وقبل
 أن نترسل في الحديث نؤكد للقراء انه لا رائد لنا في عملنا الا خدمة
 بلادنا ومصالحتنا وتبين لنا الحقيقة المرة للعالم الاسلامي وتسجيلها
 للتاريخ حتى لا يقال إن المغاربة رضوا بتقديم ارواحهم وممتلكاتهم للشوار
 الاسبانيين بدل أن يضعوها في سبيل تحرير بلادهم واستقلالهم
 فقبل خمسة عشر عاماً امتشق المغاربة الحسام دفاً عن استقلالهم
 والذي عصفت به أيدي المستعمرين ، واليوم يقاتلون لا في سبيل تلك

الغاية المقدسة كأنهم لم يرثوا عن آباؤهم الميامين إلا حب القتال وكان
طلب الاستقلال وتضحية الأرواح في سبيله لم يكن هو المثل الأعلى
الذي حارب من أجله الأمير عبد الكريم والمغاربة من ورائه كما
أشار إلى ذلك الاستاذ رياض الصلح في بيان له أودعه عن الحرب
الاسبانية

أريد أن نسجل هنا للحقيقة والتاريخ أن المغاربة لم يندفعوا إلى
تأييد الجنرال فرانكو إلا رغبة في تخليص بلادهم من الاستعمار و اعتماداً على
الثوار الاسبانيين في هذه الغاية فإذا هم خدعوا وأنطوت عليهم الحيلة ،
فليسمواهم المسؤولين عن ذلك وانما تقع المسؤولية على القادة والزعماء الذين
يلجئون مدخل السياسة العويصة ويخرجون منها بنتائج تعود على بلادهم
بالخير وتجلب لهم السعادة والهناء

وفي هذا المقال سنبين بعض العوامل التي جعلت بعض الوطنيين في
المنطقة الخليفية المغربية يستسلمون الى الثوار الاسبانيين ، ولا يقفون
منهم الموقف الذي تفرضه عليهم الوطنية النزيهة التي لا تخشى التضحية
والمعذاب ولا تهاب التهديد والارهاب
كانت الوطنية المغربية قبل الثورة الاسبانية موحدة في المخطط

والأساليب سواء في المنطقة السلطانية التابعة لحماية فرنسا أو في المنطقة الخليفية التابعة لحماية اسبانيا يتبادل رجالها الرأي والمشورة فيما يعود على البلاد بالخير ، وذلك لأن رجال الحكم في فرنسا واسبانيا كانوا جميعاً من اليساريين الديمقراطيين فلم يكن هناك داع لاختلاف الوسائل في مقاومة المستعمر ، أضف الى هذا أننا لا نعرف بهذا التقسيم الذي أحدثته معاهدة الحماية المعقودة بين فرنسا والسلطان عبد الحفيظ يوم ٣٠ مارس سنة ١٩١٢

فلما شبت الثورة الاسبانية وأصبحت مقاليد الأمور في المنطقة الخليفية بأيدي الثوار أصبح من الضروري تغيير الأساليب واتجاه كل من الهيئتين اتجاها توحى به ضرورة الموقف وما يتطلبه من المرونة والشدة تبعاً للظروف والاحوال

وكان الوطنيون في المنطقة الخليفية يعرفون باسم الكتلة الوطنية فلما هدأت العاصفة الأولى للثورة الاسبانية رأوا أن يخرجوا الميدان بصفة حزب له مبادئ معروفة ومناهج واضحة ترمى الى استقلال المغرب وتحريره من جميع القيود التي كبلته بها معاهدة الحماية ، ومنذ نشأ حزب الاصلاح الوطنى وانتخب لرياسته الاستاذ

عبد الخالق الطريس رأى مندوب الجزائر فرانكو في المنطقة أن سياسته ستكون خطراً على مستقبل اسبانيا في المغرب ولا تتفق مع مظامها فاخذ يعمل على مخادعة المغاربة عامة وأعضاء هذا الحزب خاصة حتى استخلص منهم جميعاً نقراً وثق به، فحال حزب الاصلاح الوطني موقفهم وقد كان بعضهم من متطرفي الوطنين لا يفتر عن العمل ولا عن التضحية وقد حاول الحزب ارجاع هؤلاء من حسن الظن بفراנקو ووعوده فلم يرجعوا

وفي هذا الوقت نفسه شرعت الصحف الاستعمارية الفرنسية في المغرب وفرنسا تهتم كتهمة العمل الوطني بالمنطقة المملطانية بأنها تؤيد الثوار الاسبانيين وتتعاون معهم إزاء هذه التهمة الجريئة لم تر الكتلة بدأ من أن تعلن انها لا تتحمل مسؤولية أعمال هؤلاء المخدوعين . وقد كتب الاستاذ عمر بن عبد الجليل السكرتير العام والمنفى الآن بالصحراء رداً على مقال الجريدة « لاديبيش دى فاس » قال قبل كل شيء ، تؤكد أن حركتنا مستقلة عن حركة تطوان استقلالاً كلياً ، وليس لحزبنا ممثل بالمنطقة المملطانية ولا يمكننا بأى وجه من الوجوه ان تحمل مسؤولية الافاعات والنشريات العربية والاسبانية الواردة

من هناك ، اما فيما يرجع إلى الوعود الكاذبة التي وعد بها الثأرون
الاسبانيون مواطنينا بالريف فهل يؤخذ علينا وقوع بعض مواطنينا
بالمنطقة الاخرى في حباله فرانكو ومنحهم إعانتهم للفاشيست
لم يقنع فرانكو من دعائهم أن يعملوا لحمايه داخل المغرب فحسب
بل دفعهم إلى القيام بدعاية واسعة النطاق خارج المغرب ينشرون
الدعاية ويترعمون انه قد رفه عن المغاربة في الريف وأطلق له الحرية
على أننا نؤكد لقراء البلاع أننا كنا في السنة الماضية بالمغرب
وشاهدنا بأعيننا ما وصلت اليه حالته في المنطقتين السلطانية والحليفية
من البؤس والشقاء وأحسنا باحساس المغاربة النكويين لا باحسان
هؤلاء الدعاة

كلمة ختام

لست من انصار الحرب ، ولكنى من دعاة السلم .
والحرب فيها معتدى وفيها معتدى عليه . أما الاول فظالم واما
الثانى فمظلوم . وسيجاسب الله الظالمين حساباً عسيراً
واذا قلت أننى من أنصار السلام ، فأننى أقصد بذلك أننى أكره
الظلم والبغى والعدوان ، ولكن إذا أعتدى أحد على فاتى أول من
يمتشق الحسام ذوداً عن كرامة البلاد ؛ وأول من يدعو إلى الحرب .
وذنب هذه الحرب الاهلية ، وذنب اتساء الاطفال والرجال
والنفوس البرئية التى قتلت من غير إثم جنت انما يقم على عاتق الذين
أثاروا هذه الحرب الشعواء بالباطل
ولعل اسبانيا لو ظلت فى رعاية الملكية ما وقعت فى هذه
الكوارث التى نمل بها الآن

فقد كان الملك بمثابة الرأس من الجسد والربان من السفينة يتطلع اليه
الغنى والفقير ويلجأ إلى ملاذه احزاب اليمين وأحزاب اليسار ؛ فيهدى

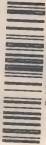
البلاد الى سواء السبيل

ونحمد الله أن جئنا الله في مصر بالملك فاروق الأول ؛ الملك
المحبوب من الشعب ومن العامة كما يحبه أهل الرأي والسادة، الملك الذي
تتجلى ارادته الخير بوطنه في كل لحظة نسأل الله له السلامة ، ونرجو الله
أن يتم على يديه رفعة الوطن .



National Library of Medicine
Biomedical Research Foundation

Biblioteca Alexandrina



0171383